

مَقَالَاتٌ تَمْهِيْدِيَّةٌ

.....
- الْمَقَالَةُ الْأُولَى :
.....

❖ - هَل مَاتَ زَمَنُ الشُّعْرِ؟! ❖

فِي عَامِ ١٨٢١ م؛ نَشَرَ النَّاقِدُ الْإِنْجِلِيزِيُّ توماس لف بيكوك رَسَالَةً يُعْنَوَانُ :
« عُصُورُ الشُّعْرِ الْأَرْبَعَةُ »؛ رَامَ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ يُثَبِتَ أَنَّ الْفَنَّ الشُّعْرِيَّ
سَيَتَلَشَّى رُويْدًا رُويْدًا مَعَ تَقَدُّمِ الْحَضَارَةِ الْمَادِيَّةِ؛ وَأَنَّ الشُّعْرَ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ
عَشَرَ - أَى فِي عَصْرِ الْمَادَّةِ وَالْعَقْلِ - لَا يُعَدُّ أَكْثَرَ مِنْ ظَاهِرَةٍ قَبِيحَةٍ سَخِيْفَةٍ؛ لَا
تَشِي إِلَّا بِالْعَبَثِيَّةِ وَاللَّامْبَالَةِ؛ وَلَا تَدْعُو لِسِوَى الثُّفُورِ وَالضُّيْقِ وَالِاحْتِقَارِ؛ إِذْ
لِكُلِّ عَصْرِ مَظَاهِرُهُ وَأَفْكَارُهُ؛ فَالشُّعْرُ مِنْ سِمَاتِ عُصُورٍ قَدْ خَلَّتْ؛ وَأَمَّا فِي
هَذَا الْعَصْرِ فَلَا مَكَانَ لِلشُّعْرِ وَلَا لِلشُّعْرَاءِ .

.....
كَانَتْ هَذِهِ هِيَ دَعْوَةُ ذَلِكَ النَّاقِدِ؛ وَقَبْلَ أَنْ يَكُونَ نَاقِدًا أَدِيْبًا؛ فَهُوَ رِوَائِيٌّ؛
وَفِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ نَادَى بِفِكْرَةِ « زَمَنُ الرِّوَايَةِ »؛ تِلْكَ
الدَّعْوَةُ الَّتِي بَدَأَتْ فِي أَيَّامِهِ؛ وَمَا زَالَتْ تَجِدُ لَهَا أَنْصَارًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِي
الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَلَى السَّوَاءِ.

وَقَدْ تَصَدَّقَ الشَّاعِرُ الرُّومَانِسِيُّ الْإِنْجِلِيزِيُّ الْكَبِيرُ بِيْرْسِي بِيشِي شِيلِي
[١٧٩٢ - ١٨٢٢] لِلرَّدِّ عَلَى توماس بيكوك فِي رَسَالَةٍ لَهُ يُعْنَوَانُ « دِفَاعٌ عَنِ

الشُّعْرُ .»

ثُمَّ جَاءَ الشَّاعِرُ وَالنَّاقِدُ الْأَدَبِيُّ الْفِيكْتُورِيُّ ماثيو أرنولد [١٨٢٢ - ١٨٨٨] ؛
فَنَاقَشَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ ؛ ثُمَّ انْتَهَى إِلَى أَنَّ الشُّعْرَ سَيَحُلُّ مَحَلَّ الْمُعْتَقَدَاتِ الدِّيْنِيَّةِ
الْقَدِيمَةِ ؛ وَمِمَّا قَالَهُ :

« إِنَّ لِلشُّعْرِ مُسْتَقْبَلًا هَائِلًا ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ سَتَجِدُ فِي الشُّعْرِ الْجَدِيرِ بِهَذَا
الْمُسْتَقْبَلِ مُسْتَقْرَأً لَهَا ؛ يَتَجَدَّدُ الْإِطْمِئْنَانُ إِلَيْهِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ .
لَقَدْ بَدَأَتْ الْمُعْتَقَدَاتُ كُلُّهَا تَتَزَعَزَعُ ؛ وَأَخَذَ الشُّكُّ يَتَطَرَّقُ إِلَى الْمَذَاهِبِ الَّتِي
كَانَ النَّاسُ يُجْمِعُونَ عَلَى صِحَّتِهَا كُلِّهَا ؛ كَمَا أَخَذَتِ التَّقَالِيدُ تُؤْذِنُ بِالتَّدَاعِي
وَالْإِنْهِيَارِ ؛ حَتَّى الدِّينَ الَّذِي كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى الْوَقَائِعِ الْمُفْتَرَضَةِ وَيَرْتَبِطُ بَيْنَ كُلِّ
أَنْفِعَالَاتِهِ ؛ خَانَتْهُ هَذِهِ الْوَقَائِعُ ذَاتَهَا وَأَخَذَتْ تَتَخَلَّى عَنْهُ .
أَمَّا الشُّعْرُ ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ عَلَى الْمَعْنَى ؛ وَالْمَعْنَى بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ .» .

.....

كَانَ لِلنَّهْضَةِ الْحَضَارِيَّةِ الْمَادِيَّةِ الرَّهِيْبَةِ ؛ وَالَّتِي بَدَأَتْ مَعَ أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ
عَشَرَ ؛ وَسَيْطَرَةَ مَظَاهِرِهَا عَلَى التَّفْكِيرِ الْإِنْسَانِيِّ ؛ كَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَثْرُهُ الْخَطِيرُ
عَلَى الْقِيَمِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ نَتَائِجِ هَذَا التَّأْثِيرِ ؛ أَنْ أَصْبَحَ الْكَثِيرُونَ مِنَ الْمُتَقَفِّينَ يَنْظُرُونَ إِلَى
الْفَنِّ الشُّعْرِيِّ نَظْرَةً سُخْرِيَّةً وَامْتِعَاضَ ؛ فَاضْطَرَبَتْ نُفُوسُ الشُّعْرَاءِ اضْطِرَابًا
شَدِيدًا ؛ وَخَاصَّةً فِي بِلَادِ الْإِنْجِلِيزِ ؛ لِكَوْنِهَا كَانَتْ أَكْثَرَ الْبِلَادِ تَأَثَّرًا بِهَذِهِ
الدَّعْوَةِ ؛ إِذْ كَانَتْ مَعْقِلَ الثُّورَةِ الصَّنَاعِيَّةِ آنَئِذٍ ؛ فَوَاجَهُوا هَذِهِ الْمِحْنَةَ الثَّقَافِيَّةَ

يكثر من الحجج المنطقية السديدة المفحمة ؛ والتي كان من أبرزها وأقواها :
القول بأن القيم المادية التي تسلطت على عقول أبناء هذا العصر ؛ تفرض
على اتباعها التخلي - إرادياً أو لا شعورياً - عن المشاعر الإنسانية النبيلة ؛
كالحب والحزن والألم ؛ وأصبح على المرء الذي يسلم قيادته لهذه القيم
الشوهاء ؛ والتي من شأنها أن يدوب الإنسان في تيار السعى اللاهث خلف
المال والثروة وأسباب امتلاك مظاهر المادة والسلطة ؛ وأن يفقد الكثير من
سمات ذاته الاستقلالية وشخصيته الفردية ؛ وأن يعرض عن حاجاته
الروحية ؛ والتي هي في حقيقتها علة الوجود الإنساني في هذا العالم .



- الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ :

.....

❖ - الشُّعْرُ الْعَرَبِيُّ فِي صُورَتِهِ التُّرَاثِيَّةِ

هَلْ يُمْكِنُتَهُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنِ الْخَلَجَاتِ النَّفْسِيَّةِ

وَالنَّوَاذِعِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي تَمُورُ فِي نُفُوسِ

الشُّعْرَاءِ الْمُعَاصِرِينَ؟! ..

.....

كَلِمَةٌ أَسْمَعُهَا كَثِيرًا مِنْ بَعْضِ مَنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَيَّ تَعَاطَى فَنُ الْقَرِيضِ :

« الشُّعْرُ الْعَمُودِيُّ لَا يَقُومُ بِالتَّعْبِيرِ عَنِ كَافَّةِ الْمَشَاعِرِ الَّتِي يُكِنُّهَا الشَّاعِرُ

المُعَاصِرِ !! .. ».

أَسْمَعُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ ؛ فَيَأْخُذُنِي الدَّهْشُ وَالْعَجَبُ مِنْ كَثْرَةِ دَوْرَانِهَا عَلَى

الْأَلْسِنَةِ !! ... ؛ وَلَكِنِّي أَعُودُ فِي النِّهَائِيَّةِ ؛ فَأَقُولُ : لَا بَأْسَ ... ؛ فَإِنَّ الْعَجْزَ جَدِيدٌ

بِإِخْرَاجِ مَقُولَاتٍ وَآرَاءٍ أَشَدُّ جَهْلًا وَسَدَاجَةً مِنْ مِثْلِ هَذَا الرَّأْيِ وَتِلْكَ الْمَقُولَةُ .

مَا زِلْتُ أَقُولُ : لَوْ أَنَّنَا أَرَدْنَا اخْتِبَارَ مَا عِنْدَ صَاحِبِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ مَخْزُونِ

شِعْرِيٍّ مَحْفُوظٍ ؛ أَوْ عَلَى الْأَقْلِ : أَرَدْنَا الْوُقُوفَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قِرَاءَتِهِ

لِلْأَعْمَالِ الشُّعْرِيَّةِ ؟ ؛ لَخَرَجْنَا فِي النِّهَائِيَّةِ يَمَا يَسْتَوْجِبُ الضَّحْكَ وَالسُّخْرِيَّةَ !!

... ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَدُوٌّ مَا يَجْهَلُ ... ؛ وَلَكِنَّ الْجَهْلَ بِأَمْرٍ هُوَ مِنْ أَهَمِّ الشُّرُوطِ

وَالْمَقُومَاتِ ... ؛ لَهُوَ مِمَّا يَدْعُو إِلَى النُّفُورِ وَالْهَزْءِ فِي آنٍ !! ... ؛ وَأَمَّا الشَّاعِرُ

الَّذِي غَاصَ فِي دَوَاوِينِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا - قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا - ؛ مِنْ الْمَحَالِ أَنْ

يَفْوَهُ يَمِثُلُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْمَأْفُوتَةَ...؛ بَلْ هُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ الْمَوْهَبَةَ إِذَا مَا شَدَّ مِنْ
أَزْرَهَا اِطْلَاعٌ وَاسِعٌ عَلَى الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ؛ كَانَتْ قَمِينَةً بِأَنَّ تَأْتِي بِالْأَعَاجِيبِ
...؛ وَأَنَّ تَتَمَكَّنَ يَسْهُولَةً مِنَ التَّعْبِيرِ عَنِ أَيِّ عَاطِفَةٍ تُحَاوِرُ دَاتَهُ وَتُنَاقِشُ عَقْلَهُ
وَرُوحَهُ...؛ وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ الَّتِي تَدْحَضُ زَيْفَ تِلْكَ الْمَقُولَةِ الْمَوْثُوتَةِ؛ هَذَا
الْمِثَالُ الْفَرِيدُ الرَّائِعُ:

الشَّاعِرُ الْعِرَاقِيُّ الْكَبِيرُ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْبِيَّاتِي [١٩٢٦ - ١٩٩٩ م] مَا تَعْرِفُهُ
الْكَثْرَةُ الْكَائِرَةُ إِلَّا فِي صُورَةِ الشَّاعِرِ الْحَدَائِثِيِّ الَّذِي صَاعَ مَشَاعِرَهُ وَرَوَاهُ عَنْ
طَرِيقِ قَصِيدَةِ التَّفْعِيلَةِ...؛ هَذَا هُوَ مَا يُعْرَفُ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ...؛ وَلَكِنَّ الَّذِي
يَجِبُ أَنْ يُعْرَفَ وَنَحْنُ فِي مَقَامِنَا هَذَا: أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ دَاتَ مَرَّةٍ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ
بَعْضِ مَا يَجِدُهُ بِدَخِيلَةِ نَفْسِهِ؛ وَوَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَاعَ فِكْرَتَهُ مِنْ خِلَالِ الْقَصِيدَةِ
الْعُمُودِيَّةِ دَاتِ الشَّكْلِ التُّرَائِيِّ: كَانَ التَّتَاجُ هُوَ هَذِهِ الرَّائِعَةُ !!:

دَارُوا مَعَ الشَّمْسِ فَانْهَارَتْ عَزَائِمُهُمْ
...؛ وَعَادَ أَوْلَهُمْ يَنْجِي عَلَى الثَّانِي
...؛ وَسَارِقُ النَّارِ لَمْ يَبْرَحْ كَعَادَتِهِ
.؛ يُسَاقِ الرِّيحُ مِنْ حَانَ إِلَى حَانَ
.....؛ لَمْ تَزَلْ لَعْنَةُ الْآبَاءِ تَتَّبَعُهُ
وَتَحْجُبُ الْأَرْضَ عَنْ مِصْبَاحِهِ الْقَانِي
وَلَمْ تَزَلْ فِي السُّجُونِ السُّودِ رَائِحَةً
وَفِي الْمَلَاجِيِّ مِنْ تَارِيخِهِ الْعَانِي

مَشَاعِلٌ كُلَّمَا الطَّاعُوتُ أَطْفَأَهَا
عَادَتْ تُضِيءُ عَلَى أَشْلَاءِ إِنْسَانِ
عَصْرُ البُطُولَاتِ قَدْ وَلَّى وَهَذَا أَنَذَا .
أَعُودُ مِنْ عَالَمِ المَوْتَى بِخِذْلَانِ
وَحْدِي احْتَرَقْتُ ! أَنَا وَحْدِي ! وَكَمْ عَبْرَتِ
بِي الشُّمُوسُ وَكَمْ تَحْفَلُ بِأَحْزَانِي
إِنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ ! ؛ إِنِّي رَتَيْتُ لَهُمْ !
إِنِّي تَرَكْتُ لَهُمْ يَا رَبُّ أَكْفَانِي !
فَلْتَلْعَبِ الصُّدْفَةُ العَمِيَاءُ لِعَبْتِهَا
فَقَدْ بَصَقْتُ عَلَى قَيْدِي وَسَجَانِي
..... ؛ وَمَا عَلَى إِذَا عَادُوا بِخِيَّتِهِمْ
.. ؛ وَعَادَ أَوْلَهُمْ يَنْعَى عَلَى الثَّانِي

عِنْدِي أَنَّ هَذِهِ القَصِيدَةَ :- وَالتِّي كَتَبَهَا شَاعِرٌ مِنْ أَوَائِلِ رُؤَادِ الدَّعْوَةِ إِلَى
الشُّعْرِ الحَدَائِثِ - تُعَدُّ مِنْ عِيُونِ الشُّعْرِ العَرَبِيِّ المُعَاصِرِ ؛ فَلَقَدْ أَصَابَتْ قَصَبَ
السَّبْقِ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ وَالمُوسِيقَى وَالمَعْنَى ؛ وَأَعْجَبُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَنَّهَا
خَرَجَتْ مِنْ شَاعِرٍ يُعَدُّ مِنْ أَعْظَمِ مَنْ تَارُوا عَلَى القَالِبِ المَوْزُوثِ !!... ؛ فَهَلْ
بَعْدَ هَذَا الدَّلِيلِ - وَكَفَى بِهِ دَلِيلًا وَحُجَّةً - نُصِيخُ السَّمْعَ لِأَصْحَابِ هَذَا الزَّعْمِ
المُفْتَرَى !!؟ .



.....

✽ - أثر التمثيل الصوتي للمعاني
في عملية التأثير والتفاعل بين
الشاعر والمتلقى

.....

ما هي علاقة التشكيل الصوتي للشعر بالمعنى؛ وأثر ذلك على عملية
الانطباق؟

.....

هذه العلاقة ما تنتج إلا من تجاوز الأصوات وتفاعلها؛ ومحيثها على وجه
يُميّز المحتوى؛ وتتميز هي به من جهة أخرى...؛ فالألفاظ المعجمية لا تبقى
محض رموز قاصرة على دلالتها؛ بل تتجاوز ذلك إلى مستوى أعظم يتصل
بالمجاز؛ حيث يتجدد التشكيل الصوتي بالمستويين البصري والسمعي؛ فبعض
الصيغ قد توحى بنوع من القوة والحدة؛ وبعضها قد يوحى بنوع من
الرومانسية الحالمة.

يخطيء من يظن وجود قيم صوتية مطلقة تُعد بمثابة الأسس والمعايير التي
ينبغي السير على مقتضاها؛ بل غاية الأمر: أن التشكيل الصوتي والوزن
والإيقاع؛ كل ذلك يُعطى التجربة الشعرية صورة من صور العبقرية؛

وَيَصِلُ بِهَا إِلَى ذُرْوَةِ الْإِبْدَاعِ وَالتَّمْيِيزِ.
هُنَاكَ عِلَاقَةٌ تَبَادُلِيَّةٌ إِجْبَائِيَّةٌ بَيْنَ التَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ وَبَيْنَ التَّجْرِبَةِ وَالرُّؤْيَا
وَالْمَوْقِفِ الَّذِي يُعْبِّرُ عَنْهُ النَّصُّ الشُّعْرِيُّ .



❖ - الدَّورُ الْإِجَابِيُّ لِلذَّوْقِ الْأَدَبِيِّ؛

وَأَهْمِيَّةُ الْاِحْتِكَامِ إِلَى نَظَرِيَّةِ النَّقْدِ

التَّائِرِي

.....

يَعْتَمِدُ الذَّوْقُ الْأَدَبِيُّ الرَّفِيعُ عَلَى الثَّقَافَةِ الْوَاسِعَةِ مِنْ جِهَةٍ؛ وَقُوَّةِ الْحِسِّ
الْفَنِيِّ الْمُبْدِعِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى...؛ فَالْشَيْخُ حُسَيْنُ الْمَرْصَفِيُّ [ت ١٨٨٥ م] يَرَى
أَنَّ التَّنَاسُبَ هُوَ الْجَمَالُ؛ وَأَنَّ إِدْرَاكَ التَّنَاسُبِ إِنَّمَا يَأْتِي عَنْ طَرِيقِ الذَّوْقِ
الَّذِي تَحَقَّقَ مِنْ مُمَارَسَةِ أَنْمَاطِ الثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ.

قَالَ بَعْدَ أَنْ عَرَّضَ لِرَأْيِ ابْنِ خَلْدُونَ فِي الذَّوْقِ :

« وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ الذَّوْقِ؛ فَأَيُّنُ مِنْهُ مَا سَأَلْتَهُ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَيْنَ
الْأَشْيَاءِ تَنَاسُبًا؛ بِحَيْثُ مَتَى اسْتَوَفَتْ عِنْدَ اجْتِمَاعِهَا حَظَّهُ مِنْهُ؛ قَامَتْ مِنْهَا
صُورَةٌ يَتَفَاوَتُ النَّاسُ فِي إِدْرَاكِ حُسْنِهَا طَبَعًا وَتَكَلُّفًا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ ذَلِكَ
وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ؛ وَلَيْسَ مُدْرِكُوهُ سَوَاءً فِيهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْنَعُ بِإِدْرَاكِ ظَوَاهِرِ
الْأَشْيَاءِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَهِي إِدْرَاكُهُ إِلَى اعْتِبَارِ دَقَائِقِهَا وَخَوَافِهَا؛ وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ
يَمَا تُشَاهِدُهُ مِنْ شِدَّةِ سُرُورِ بَعْضِ النَّاسِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ لِلْأَشْيَاءِ الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي
يُلَاقُونَ بَعْضَهَا بَعْضًا؛ وَشِدَّةِ نَفَرَتِهِ وَانْقِبَاضِهِ عَنْ رُؤْيَةِ خِلَافِهَا؛ وَلَا يَخْتَصُّ

ذَلِكَ بِشَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ؛ فَتَرَاهُ يَتَأَمَّلُ الْأَبْنِيَّةَ وَأَوْضَاعَهَا؛ وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ مُكَمَّلَاتِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا؛ فَإِذَا أَدْرَكَ فِيهَا التَّنَاسُبَ اللَّائِقَ بِهَا؛ رَأَيْتَهُ قَدْ أَنْشَرَ صَدْرَهُ؛ وَتَجَدَّدَ سُورُهُ؛ وَأَخَذَ فِي نَعْتِهَا وَالثَّنَاءِ عَلَيْهَا...؛ فَالِإِدْرَاكُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِتَنَاسُبِ الْأَشْيَاءِ وَيُوجِبُ الْاسْتِحْسَانَ وَالِاسْتِغْبَاحَ هُوَ الْمُسَمَّى بِالدُّوقِ: وَهُوَ طَبِيعِيٌّ؛ يَنْمُو وَيَتَرَبَّى بِالنَّظَرِ فِي الْأَشْيَاءِ وَالْأَعْمَالِ مِنْ جِهَةٍ مُوَافَقَتِهَا لِلْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ مِنْهَا. (١).

.....

- الْمَنْفُلُوطِيُّ... وَقَضِيَّةُ الدُّوقِ:

وَأَمَّا الشَّيْخُ مُصْطَفَى لُطْفِي الْمَنْفُلُوطِيُّ [ت ١٩٢٤ م]: فَيَرَى أَنَّ الدُّوقَ أَصْبَحَ مِعْيَارًا فِي الْحُكْمِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْأَدَبِيَّةِ؛ فَهُوَ يَقُولُ:
 ((لَا يَمْنَعُ الْجَاهِلَ جَهْلُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُ فِي اسْتِحْسَانِ الْكَلَامِ وَاسْتِهْجَانِهِ رَأْيًا صَائِبًا؛ لَا؛ بَلْ رُبَّمَا كَانَ شُعُورُهُ بِجُسْنِ الْكَلَامِ وَقُبْحِهِ - مَتَى رُزِقَ حَظًّا مِنْ سَلَامَةِ الدُّوقِ وَاسْتِقَامَةِ الْفَهْمِ - أَصَحَّ مِنْ رَأْيِ الْأَدِيبِ الْمُتَكَلِّفِ الَّذِي يَتَعَمَّلُ النُّقْدَ تَعَمُّلاً؛ وَيَتَعَمَّقُ التَّعَمُّقَ كُلَّهُ فِي التَّفْتِيشِ عَنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ وَسَيِّئَاتِهِ حَتَّى يَضِلَّ عَنْهَا؛ وَرُبَّ ابْتِسَامَةٍ أَوْ تَقْطِيبَةٍ يَمُرَّانِ بِوَجْهِ السَّامِعِ الْعَامِيِّ عَفْوًا: أَنْفَعُ لِلْأَدِيبِ حِينَ يَرَاهُمَا؛ وَأَعْوَنُ لَهُ عَلَى مَعْرِفَةِ مَكَانِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ مِنْ كَلَامِهِ مِنْ مُجَلِّدٍ ضَخْمٍ يَكْتُبُهُ عَالِمٌ مُضْطَلَعٌ بِالْأَدَبِ

(١) - ((الوَسِيلَةُ الْأَدَبِيَّةُ))؛ (ج ٤٧٣/٢) - مطبعة المدارس الملكية: ١٨٧٥ م - .

وَاللُّغَةُ فِي نَقْدِ شِعْرِهِ أَوْ نَثْرِهِ . (٢) .

وَهَكَذَا نَرَى : أَنَّ الشَّيْخَ الْمَنْفُلُوطينِيَّ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ نَاقِداً تَأْثِريّاً :

- إِذْ أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَى رَفْضِ التَّعْوِيلِ عَلَى أُسُسِ النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ وَمَعَايِيرِهِ تَعْوِيلًا لَا

يَرَى غَيْرَ هَذِهِ الْأُسُسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِسِوَاهَا .

- وَهُوَ يُؤْمِنُ أَيْضًا بِقُوَّةِ الشُّعُورِ النَّفْسِيِّ وَإِلْهَامِ الْحِسِّ وَالذَّوْقِ الَّذِي يَحْتَكِمُ

إِلَى ذَوْقٍ صَاحِحٍ وَوَعْيٍ جَيِّدٍ .

الشَّيْخُ الْمَنْفُلُوطينِيُّ لَا يَجْعَلُ قَانُونًا مِنْ قَوَانِينِ النَّقْدِ فِي مَوْضِعِ الْقَدَاسَةِ سِوَى

قَانُونِ الذَّوْقِ الْمُتَقَفِّ الْمُرْهَفِ ؛ فِي حِينِ كَوْنِ كَافَّةِ الشُّرُوطِ الْأُخْرَى لَا تَقُومُ

إِلَّا يَدُورُ تَأْوِيلٌ - وَإِنْ كَانَ دَوْرًا حَتْمِيًّا وَلَا بُدَّ مِنْ تَوَافُرِهِ - .

يَقُولُ الشَّيْخُ الْمَنْفُلُوطينِيُّ :

« إِذَا سَمِعْتَ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ : فَأَطْرَبِكَ ؛ أَوْ أَحْزَنَكَ ؛ أَوْ أَفْتَعَكَ ؛ أَوْ أَرْضَاكَ ؛

أَوْ هَاجَكَ وَأَنْتَ سَاكِنٌ ؛ أَوْ هَدَأَ رَوْعَكَ وَأَنْتَ تَائِرٌ ؛ أَوْ تَرَكَ أَىَّ أَثَرٍ مِنْ

الْأَثَارِ فِي نَفْسِكَ كَمَا تَتْرُكُ النِّعْمَةُ الْمَوْسِيقِيَّةُ أَثَرَهَا فِي نَفْسِ سَامِعِهَا :

فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ بِيُوتِ الْمَعَانِي ؛ وَأَنَّ هَذَا الَّذِي تَرَكَهُ فِي نَفْسِكَ مِنَ الْأَثَرِ هُوَ

رُوحُهُ وَمَعْنَاهُ .

وَإِنْ مَرَرْتَ بِبَيْتِ آخَرَ : فَاسْتَغْلِقْ عَلَيْكَ فَهْمُهُ ؛ وَنَقْلَ عَلَيْكَ ظِلُّهُ ؛ وَشَعْرَتَ

بِجُمُودِ نَفْسِكَ أَمَامَهُ؛ وَخَيْلِ إِلَيْكَ أَنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ جُثَّةِ هَامِدَةٍ لَا رُوحَ فِيهَا؛
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهُ وَلَا حَيَاةَ فِيهِ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ صَاحِبَهُ وَاقِفًا بِجَانِبِهِ يُحَاوِلُ
أَنْ يُوسُوسَ لَكَ أَنْ وَرَاءَ هَذِهِ الظُّلْمَةِ الحَالِكَةِ المُتَكَاثِفَةِ نُورًا مُتَوَهِّجًا يَكْمُنُ
فِي طَيِّبَاتِهَا؛ فَكذِّبْهُ؛ وَفِرِّ بِنَفْسِكَ وَأَدْبِكَ وَذَوْقِكَ مِنْهُ فِرَارًا لَا عَوْدَةَ لَكَ مِنْ
بَعْدِهِ .

هَذَا هُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَزِنَ بِهِ الْكَلَامَ؛ وَنَصِيحَتِي إِلَيْكَ أَلَّا تُصَدِّقَ
تَعْرِيفًا وَاحِدًا مِنْ تِلْكَ التَّعْرِيفَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْمُتَنَاقِضَةِ الَّتِي يَضَعُهَا وَاضِعُوهَا
مِنَ الْأَدْبَاءِ لِأَشْعَارِهِمْ خَاصَّةً لَا لِلشُّعْرِ عَامَّةً؛ وَاجْعَلْ شُعُورَ نَفْسِكَ هُوَ
الْمِيزَانُ الَّذِي تَزِنُ بِهِ مَا تَسْمَعُ؛ فَكَمَا أَنَّكَ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى تَعْرِيفٍ مِنْ
تَعْرِيفَاتِ الْجَمَالِ وَلَا تَلْجَأُ إِلَى قَانُونٍ مِنْ قَوَانِينِهِ عِنْدَ وَقُوعِ نَظْرِكَ عَلَى
وَجْهِ امْرَأَةٍ لِمَعْرِفَةِ دَرَجَتِهَا مِنَ الْحُسْنِ؛ كَذَلِكَ لَا تَعْتَمِدُ فِي اسْتِحْسَانِ مَا
تَسْتَحْسِنُ مِنَ الْكَلَامِ وَاسْتِهْجَانِ مَا تَسْتَهْجِنُ؛ إِلَّا عَلَى شُعُورِ نَفْسِكَ؛ وَإِلْهَامِ
حِسِّكَ. ((٣)).

تَأْمَلْ هَذَا الْكَلَامَ الْمُتَقَنَ الرَّفِيعَ؛ وَلَنْ يَسَعَكَ بَعْدَ التَّأْمَلِ إِلَّا أَنْ تَجْزِمَ بِأَنَّهُ قَدْ
اشْتَمَلَ عَلَى أُصُولِ نَظْرِيَّةِ النِّقْدِ التَّأَثُّرِيِّ؛ وَالَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى تَحْكِيمِ قَاعِدَةٍ
«التَّدْوِقُ»...؛ وَهِيَ نَظْرِيَّةٌ لَا تَخْلُو مِنْ حُسْنِ التَّأْمَلِ؛ وَقُوَّةِ الشُّعُورِ؛ طَالَمَا

شُعْرَاءُ فِي الْمِيزَانِ

أَيَّدَتِ بِالشُّرُوطِ الْأَوْلِيَّةِ ؛ وَالَّتِي يَدُونَهَا يَعْجَزُ التَّدْوِقُ عَنِ الْقِيَامِ يَدَوْرِهِ
الْمُنْتَظَرِ .



.....

❖ المذهب الواقعي في الشعر العربي الحديث

﴿ النزعة الواقعية..... والتجارب الشعرية

التي تُعبرُ بلسان الضمير الوطني؛ وتناقش

القضايا السياسية ﴾

.....

لم يعد الشعر العربي يُعرف العيش في خيمة واحدة دون غيرها؛ هي خيمة الشاعر الذي ما يعرف من الحياة غير آلام الأنا وشجون الذات والتغنى بآمال حياته ورغبات عقله وروحه...؛ لقد غدا الشعر مطالباً بالقيام بدوره نحو الأمة والأرض والوطن؛ لم تعد مهمة الشاعر قاصرة على مجرد إنكار العبثية التي تُسيطر على التاريخ المعاصر عن طريق التثديد الخاطف ثم لا يلبث أن يعود إلى نفسه وذاته؛ بل أصبح الشاعر الذي يدافع بعقربية أدائية عن حقوق الجماهير المنكوبة والطبقات المستدلة؛ هو الشاعر الذي يستأثر باحترام أبناء أرضه ويتفكير الثقافة لدوره؛ لكونه أسهم بجهده الذي يشترطه ضمير المثقف؛ وتستوجب اللحظة التاريخية القائمة...؛ وأصبحت قلمات الشعراء تتباين حسب قدرة كل واحد منهم على التعمق في تحليل ظواهر الفساد وعاهات النفوس؛ والغوص من أجل البحث عن سر الأكدوبة

شُعْرَاءُ فِي الْمِيزَانِ

الْكُبْرَى الَّتِي تَنْهَشُ فِي جَسَدِ الْكَيَانِ الْمُقَدَّسِ الْكَبِيرِ.



.....

❖ - الفنون الشعرية الحديثة

أزمة ثقافة؟! ...؛ أم حالة من الإبداع

الحدائي المتوائم مع روح العصر؟! ❖

.....

❖ - مقصد:

كَانَ الشُّعْرُ الْعَرَبِيُّ التُّرَاثِيَّ بِصُورَتِهِ الْعُمُودِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ بِمَثَابَةِ الْإِطَارِ الْمُقَدَّسِ
الَّذِي لَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ...؛ وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِ
هَذَا النَّمَطِ الشُّعْرِيِّ الْمُتَوَارَثِ الْمَعْرُوفِ كَانَتْ لَهُ قَوَاعِدٌ وَشُرُوطٌ لَا تَبْدَلُ وَلَا
تَتَغَيَّرُ؛ إِلَّا أَنَّ الشُّعْرَاءَ قَدِ أَوْدَعُوهُ أَشْكَالًا عَبْقَرِيَّةً مِنَ التَّعْيِيرِ أَظْهَرَتْ
جَوَانِبَ قُوَّتِهِ؛ وَأَبَانَاتٍ عَنِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَقَاءِ وَالْخُلُودِ.

.....

❖ - مقصد:

كَانَتْ الْمَحَاوَلَاتُ لِإِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ فِي صُورَةِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ جَارِيَةً وَقَائِمَةً
مُنْذُ زَمَنٍ يَضْرِبُ بِجُدُورِهِ فِي أَعْمَاقِ التَّارِيخِ...؛ فَقَدَ حَاوَلَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ أَنْ
يَتَخَلَّصَ مِنْ قَيْدِ الْقَافِيَةِ؛ لِكَوْنِهَا تُعَدُّ قَيْدًا يُقَيِّدُ الشَّاعِرَ وَيَمْنَعُهُ التَّحَرُّرَ مِمَّا لَا
يُحِبُّ؛ إِذِ الْإِلْتِمَازُ دَائِمًا وَأَبَدًا بِقَافِيَةٍ ثَابِتَةٍ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَبْدَلُ؛ قَدْ يُجْبِرُهُ عَلَى
الِإِثْيَانِ بِبَعْضِ الْمَعَانِي الَّتِي لَا يُرِيدُهَا؛ وَكَثِيرًا مَا يَضْطَرُّ الشَّاعِرُ إِلَى تَكَرَّرِ

نَفْسِ الْقَافِيَةِ ؛ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى ضَعْفِ النَّعْمِ وَرَتَابَتِهِ .
وَقَدْ يَحْتَجُّ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ تَكَرُّرَ الْمَعْنَى وَالْقَوَافِي ؛ لَا يَقَعُ فِيهِ إِلَّا الشَّاعِرُ الَّذِي
يَفْتَقِرُ إِلَى الطَّبَعِ وَالشَّاعِرِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ ؛ وَإِلَى ضَعْفِ حَصِيلَتِهِ اللَّغَوِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ
أُخْرَى .

وَهَذَا تَعْلِيلٌ مَقْبُولٌ ؛ وَلَكِنِّي أَقُولُ :

مَا سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ الشُّعْرَاءُ الضُّعْفَاءُ وَحَسَبَ ؛ بَلْ ذَهَبَ إِلَيْهِ عَدَدٌ
مِنْ فُحُولٍ فَنَّ الْقَرِيضَ ؛ وَأَبُو الْعَتَاهِيَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَهُوَ صَاحِبُ
الْمَكَانَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الْفَنِّ الشُّعْرِيِّ ؛ لَهُ تَجْرِبَةٌ شَهِيرَةٌ تَتِمَّلُ فِي مَزْدَوَجَتِهِ
الْبَدِيعَةِ ؛ وَالَّتِي كَانَتْ تُعَدُّ بِمِثَابَةِ نَمَطٍ حَدَائِيٍّ فِي وَقْتِهَا .

.....

❦ - مَقْصِدُ :

وَتَمْضَى أَرْمَانٌ وَأَرْمَانٌ ؛ وَإِذَا بِنَا فِي مَطَالِعِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ... ؛ حَاوَلَ بَعْضُ
الشُّعْرَاءِ أَنْ يَأْتِيَ بِجَدِيدٍ ؛ فَنَظَرَ إِلَى تَجْرِبَةِ الشُّعْرِ الْمَزْدَوَجِ ؛ ثُمَّ انْطَلَقَ مِنْ
خِلَالِهَا ؛ يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ شُكْرِي [١٨٨٦ - ١٩٥٨ م] فِي قَصِيدَةٍ لَهُ
يَعْنُوَانِ « الزَّوْجَةُ الْغَادِرَةُ » :

أَيُّ شَيْءٍ يَهْفُو يَلْبُكَ عَن وَصَدِّ

لِ الْعَوَانِي وَعَيْشِ أَهْلِ الْجُدُودِ ؟

..... قَائِمًا فِي النَّعِيمِ مِثْلَ مُقَامِ

طَالِبِ الرَّيِّ فِي جَوَارِ الْعَدِيرِ

لا تُعِدْ لِي ذِكْرَ الْعَوَانِي ؛ فَإِنِّي
....؛ لَمْ أَكُنْ عَنْ ذِكْرِهَا بِجَلِيدٍ
كُلُّ حَسَنَاءٍ فِي لِحَاطِي عِظَامٌ
.....؛ عَارِيَاتٌ مِنَ الْبَهَاءِ الْمُنِيرِ
ثُمَّ تَقَدَّمَ فِي مَنْهَجِهِ الْإِبْدَاعِيُّ ؛ حَيْثُ نَسَجَ بَعْضَ شِعْرِهِ غَيْرَ مُلتَزِمٍ بِوَحْدَةِ
الْقَافِيَةِ ؛ فَهُوَ يَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ « نَابليون والسَّاحِرُ المِصْرِيُّ » :
سَلَكْتَ بِنَابِلْيُونَ سَالِبَةَ الْكَرَى
؛ وَالنَّوْمُ لَا يَعْنُو لِكُلِّ عَظِيمٍ
....؛ فِي لَيْلَةٍ قَلْبَ اللَّيْمِ لِقَلْبِهَا
زَنْجِيَّةٌ قَدْ عُرِّيتُ مِنْ حَلِيهَا
فَإِذَا أَرَادَ الطَّيْفُ أَنْ يَسْرِى بِهَا
مَنَعَتْ مَهَابَتُهُ الظَّلَامَ مِنَ السَّرَى
عَبَسَتْ فَخَالَ الْأُفُقَ طَلْعَةَ قَاتِلٍ
....؛ جَهْمَ الْمُحْيَا رَائِعَ اللَّحْظَاتِ
وَتَنَفَّسَتْ نَفْسَ الْمُحِبِّ إِذَا قَضَى
.....؛ وَحَبِيْبُهُ يَحْنِينُهُ لَمْ يَعْلَمِ
ثُمَّ...؛ السَّرُّ فِي كَوْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سُكْرِي لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُمَكِّنَ لِهَذِهِ
الْمُحَاوَلَاتِ الْاجْتِهَادِيَّةِ ؛ إِنَّمَا يَكْمُنُ فِي ضَعْفِ نَزْعَتِهِ الْفَنِيَّةِ الَّتِي نَسَجَ بِهَا هَذِهِ

الْأَشْكَالِ الشُّعْرِيَّةِ.

.....

✽- مقصد:

جَاءَتِ النَّهْضَةُ الْإِبْدَاعِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ مِنْ خِلَالِ شُعْرَاءِ الْمُهْجَرِ - مِيخَائِيلِ نَعِيمِهِ ؛ وَحُبْرَانِ خَلِيلِ جُبْرَانَ ؛ وَإِيلِيَا أَبُو مَاضِي - .
كَانَتْ سِمَاتُ : الْحُزْنُ ... ؛ وَالْأَلَمُ ... ؛ وَالْإِيمَانُ الْمَطْلُوقُ يَخَوِّاءِ الْحَيَاةِ وَحَقَارَةِ مَعْنَاهَا ... ؛ وَالشُّعُورُ الدَّائِمُ بِالْغُرْبَةِ الْمَكَانِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ ... ؛ الْمَوْتُ ... ؛ الْمَجْهُولُ ... ؛ كَانَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي هِيَ الَّتِي تُمَيِّزُ شُعْرَاءَ الْمُهْجَرِ ... ؛ وَإِذَا اجْتَمَعَتْ كُلُّ هَذِهِ الْمَشَاعِرِ فِي نَفْسِ إِنْسَانٍ ... ؛ كَثُرَتْ أَسْبَابُ الْقَوْلِ عِنْدَهُ ... ؛ وَفِي حَوْمَةِ الْعِرَالِ النَّفْسِيِّ ... ؛ يَأْتِي التَّحَرُّرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ... ؛ وَتَبْقَى الرَّغْبَةُ فِي بَثِّ الْأَشْجَانِ وَالْآلَامِ عَلَى أَيْ وَجْهِ كَانَ ... ؛ وَمِنْ هَاهُنَا يَأْتِي الْإِبْدَاعُ .
فِي لِحْظَةٍ مِنْ لِحْظَاتِ الصَّرَاعِ النَّفْسِيِّ - وَمَا أَكْثَرَهَا فِي حَيَاةِ الْمُهْجَرِينَ - ؛
كَتَبَ مِيخَائِيلُ نَعِيمَهُ يَقُولُ :

إِيهِ نَفْسِي !! ؛ أَنْتِ لَحْنٌ فِيَّ قَدْ رَنَّ صَدَاهُ

وَقَعْتِكِ يَدٌ فَنَانَ خَفِيُّ لا أَرَاهُ

أَنْتِ رِيحٌ ؛ وَنَسِيمٌ ؛ أَنْتِ مَوْجٌ ؛ أَنْتِ بَحْرٌ

أَنْتِ بَرْقٌ ؛ أَنْتِ رَعْدٌ ؛ أَنْتِ لَيْلٌ ؛ أَنْتِ فَجْرٌ

أَنْتِ فَيْضٌ مِنْ إِلَهٍ

وَفِي لِحْظَةٍ مِنْ لِحْظَاتِ الْقَلْقِ النَّفْسِيِّ الرَّهِيْبِ !! ؛ كَانَتْ « الطَّلَاسِيمِ » لِإِيلِيَا

أَبُو مَاضِي :

جِئْتُ لَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ ؛ وَلَكِنِّي أَتَيْتُ ؟ ۱۱
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدَّامِي طَرِيقًا فَمَشَيْتُ ۱۱
وَسَأَبَقِي مَا شِئْنَا إِنْ شِئْتُ هَذَا أَمْ أَيْتُ ۱۱
كَيْفَ جِئْتُ ؟ ۱۱ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِي ؟ ۱۱
لَسْتُ أَدْرِي ۱۱

أَجْدِيدٌ أَمْ قَدِيمٌ أَنَا فِي هَذَا الْوُجُودِ ؟ ۱۱
هَلْ أَنَا حُرٌّ طَلِيقٌ ؛ أَمْ أَسِيرٌ فِي قُبُودِ ؟ ۱۱
هَلْ أَنَا قَائِدٌ نَفْسِي فِي حَيَاتِي أَمْ مَقُودٌ ؟ ۱۱
أَتَمَنَّى أَنْنِي أَدْرِي ... ؛ وَلَكِنْ ۱۱
لَسْتُ أَدْرِي ۱۱

قَدْ سَأَلْتُ الْبَحْرَ يَوْمًا هَلْ أَنَا يَا بَحْرُ مِنْكَ ؟ ۱۱
هَلْ صَحِيحٌ مَا رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِّي وَعَنْكَ ؟ ۱۱
أَمْ تُرَى مَا زَعَمُوا زُورًا وَبُهْتَانًا وَإِفْكًَا ؟ ۱۱
ضَحِكْتَ أَمْوَاجُهُ مِنِّي وَقَالَتْ :

لَسْتُ أَدْرِي ۱۱

أَنْتَ يَا بَحْرُ أَسِيرٌ آهَ مَا أَعْظَمَ أَسْرَكَ ۱۱
أَنْتَ مِثْلِي أَيُّهَا الْجَبَّارُ لَا تَمْلِكُ أَمْرَكَ ۱۱
أَشْبَهْتَ حَالِكَ حَالِي وَحَكِي عُذْرِي

عُذْرِكَ !!

فَمَتَى أَنْجُو مِنَ الْأَسْرِ وَتَنْجُو ؟ !!

لَسْتُ أَدْرِي !!

قَدْ سَأَلْتُ السُّحْبَ فِي الْأَفَاقِ هَلْ تَذْكُرُ

رَمَلَكَ ؟ !!

وَسَأَلْتُ الشَّجَرَ الْمُورِقَ هَلْ يَعْرِفُ فَضْلَكَ ؟ !!

وَسَأَلْتُ الدَّرَّ فِي الْأَعْنَاقِ هَلْ تَذْكُرُ أَصْلَكَ

وَكَأَنِّي خَلَّتْهَا قَالَتْ جَمِيعًا :

لَسْتُ أَدْرِي !!

يَرْفُصُ الْمَوْجُ وَفِي قَاعِكَ حَرْبٌ لَنْ تَزُولَا !!

تَخْلُقُ الْأَسْمَاكَ لَكِنْ ؛ تَخْلُقُ الْحُوتَ الْأَكُولَا !!

قَدْ جَمَعْتَ الْمَوْتَ فِي صَدْرِكَ وَالْعَيْشَ الْجَمِيلَا !!

لَيْتَ شِعْرِي أَنْتَ مَهْدٌ أَمْ ضَرْبٌ ؟ !!

لَسْتُ أَدْرِي !!

كَمْ فَتَاةٍ مِثْلَ لَيْلَى وَفَتَى كَابِنِ الْمُلُوحِ !!

أَنْفَقَا السَّاعَاتِ فِي الشَّاطِئِ تَشْكُو وَهُوَ

يَشْرَحُ !!

كُلَّمَا حَدَّثَ أَصْغَتْ ؛ وَإِذَا قَالَتْ تَرْنَحُ !!

أَحْفِيفُ الْمَوْجِ سِرٌّ ضَيْعَاهُ ؟ !!

لَسْتُ أَدْرِي !!

فِيكَ مِثْلِي أَيُّهَا الْجَبَّارُ أَصْدَافٌ وَرَمْلٌ
إِنَّمَا أَنْتَ يَا ظِلَّ وَلي فِي الْأَرْضِ ظِلٌّ
إِنَّمَا أَنْتَ يَا عَقْلِي وَلي يَا بَحْرُ عَقْلِي
فَلِمَاذَا يَا تُرِي أَمْضَى وَتَبْقَى ؟!!

لَسْتُ أَدْرِي !!

إِنَّ فِي صَدْرِي يَا بَحْرُ لِأَسْرَارٍ عِجَابًا
نَزَلَ السِّتْرُ عَلَيْهَا وَأَنَا كُنْتُ الْحِجَابًا
وَلِذَا ازْدَادَ بُعْدًا كُلَّمَا ازْدَدْتُ اقْتِرَابًا
وَأُرَانِي كُلَّمَا أَوْشَكَتُ أَدْرِي

لَسْتُ أَدْرِي !!

وَلَقَدْ قُلْتُ لِنَفْسِي وَأَنَا بَيْنَ الْمَقَابِرِ
هَلْ رَأَيْتَ الْأَمْنَ وَالرَّاحَةَ إِلَّا فِي الْحَفَائِرِ
فَأَشَارَتْ !! : فَإِذَا لِلدُّودِ عَيْثٌ فِي الْمَاجِرِ
ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا السَّائِلُ إِنِّي !! :

لَسْتُ أَدْرِي !!

انظري كَيْفَ تَسَاوَى الْكُلُّ فِي هَذَا الْمَكَانِ
وَتَلَاشَى فِي بَقَايَا الْعَبْدِ رَبُّ الصَّوْجَانِ
وَالْتَقَى الْعَاشِقُ وَالْقَالِي فَمَا يَفْتَرِقَانِ

أَفْهَذَا مُتْتَهَى الْعَدْلِ ؟! ؛ فَقَالَتْ :

لَسْتُ أُدْرِى !!

كَمْ قُصُورٍ خَالَهَا الْبَانِي سَتَّبَعِي وَتَدُومِ

كَايَاتٍ كَالرَّوَاسِي خَالِدَاتٍ كَالنُّجُومِ

سَحَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهَا ذَيْلَهُ فَهِيَ رُسُومِ

مَا لَنَا نَبْنِي وَمَا نَبْنِي لِهَدْمِ ؟!

لَسْتُ أُدْرِى !!

رُبَّ فِكْرٍ لَاحَ فِي لَوْحَةِ نَفْسِي وَتَجَلَّى

خِلْتُهُ مِنِّي ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَقُمْ حَتَّى تَوَلَّى

مِثْلَ طَيْفٍ لَاحَ فِي بَثْرِ قَلِيلًا وَاضْمَحَلًّا

كَيْفَ وَافِي ؟! ؛ وَمَاذَا فَرَّ مِنِّي ؟!

لَسْتُ أُدْرِى !!

إِنِّي أَشْهَدُ فِي نَفْسِي صِرَاعًا وَعِرَاكًا

وَأَرَى ذَاتِي شَيْطَانًا...؛ وَأَخْيَانًا مَلَكَ

هَلْ أَنَا شَخْصَانٍ يَأْبَى هَذَا مَعَ ذَاكَ

اشْتِرَاكَ ؟!

أَمْ تُرَانِي وَاهِمًا فِيمَا أَرَاهُ

لَسْتُ أُدْرِى !!

بَيْنَمَا قَلْبِي يَحْكِي فِي الصُّحَى إِحْدَى

الْحَمَائِلُ

فِيهِ أَزْهَارٌ وَأَطْيَارٌ تُغْنِي وَجَدَاوِلُ
أَقْبَلَ الْعَصْرُ فَأَمْسَى مُوحِشًا كَالْقَفْرِ

قَاحِلُ !!

كَيْفَ صَارَ الْقَلْبُ رَوْضًا ثُمَّ قَفْرًا ؟ !!

لَسْتُ أَدْرِي !!

كُلُّ يَوْمٍ لِي شَأْنٌ ؛ كُلُّ حِينٍ لِي شُعُورُ
هَلْ أَنَا الْيَوْمَ ... ؛ أَنَا مُنْذُ لَيَالٍ وَشُهُورُ
أَمْ أَنَا عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ غَيْرِي فِي

الْبُكُورِ ؟ !!

كُلَّمَا سَاءَلْتُ نَفْسِي جَاوَبْتَنِي :

لَسْتُ أَدْرِي !!

أَنَا لَا أَذْكَرُ شَيْئًا مِنْ حَيَاتِي الْمَاضِيَةِ !!

أَنَا لَا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ حَيَاتِي الْآتِيَةِ !!

لِي ذَاتٌ غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ أَدْرِي مَا هِيَ !!

فَمَتَى تَعْرِفُ ذَاتِي كُنْهَ ذَاتِي ؟ !!

لَسْتُ أَدْرِي !!

.....

❁ - مَقْصِدٌ :

حَاوَلَ الشَّاعِرُ السَّكَنْدَرِيُّ خَلِيلَ شَيْبُوْبٍ [١٨٩١ - ١٩٥١ م] أَنْ يَذْهَبَ مَعَ التَّجْدِيدِ شَوْطًا أَبْعَدَ مِنْ هَذَا؛ فَكَانَتْ قَصِيدَتُهُ «الشَّرَاعُ».

ذَكَرَ مُلَابَسَاتِ كِتَابَتِهِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ؛ فَقَالَ أَنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ دُونَ انْتِبَاهٍ يَكْتُبُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؛ وَلَمَّا تَأَمَّلَهَا؛ إِذَا بِهَا مَقْطُوعَةً صَغِيرَةً تَنْتَسِبُ تَفْعِيلَاتُهَا إِلَى بَحْرِ الرَّمْلِ:

﴿ هَذَا الْبَحْرُ رَحِيبًا يَمْلَأُ الْعَيْنَ جَلَالًا
وَصَفَا الْأَفْقُ وَمَالَتْ شَمْسُهُ تَرْفُو
دَلَالًا

وَبَدَأَ فِيهِ شِرَاعٌ

كَخَيَالٍ مِنْ بَعِيدٍ يَتَمَشَّى

فِي بَسَاطٍ مَائِجٍ مِنْ نَسْجِ عُشْبِ

أَوْ حَمَامٍ لَمْ يَجِدْ فِي الرُّوضِ عُشًّا

فَهُوَ فِي خَوْفٍ وَرُغْبٍ. »

ثُمَّ قَامَ الدُّكْتُورُ لُوبِسُ عَوْضٌ بِتَجْرِبَةٍ شِعْرِيَّةٍ أَخْضَعَهَا لِهَذَا الشَّكْلِ وَلِذَلِكَ النَّمَطِ الْجَدِيدِ؛ فَكَتَبَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ عَامَ ١٩٣٨ م وَهُوَ فِي جَامِعَةِ كَامْبَرِجِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ؛ ثُمَّ نَشَرَهَا فِي كِتَابِهِ «بَلُوتُولَانْدُ وَقَصَائِدُ أُخْرَى» عَامَ ١٩٤٧ م؛ وَهِيَ تَقُولُ:

﴿ أَبِي ...؛ أَبِي !!

أَحْزَانُ هَذَا الْكَوْكَبِ

نَاءٍ بِهَا قَلْبِي الصَّبِي

الرِّزُّ تَحْتَ الرِّزِّ فِي صَدْرِي خَبِي

الشُّوكُ فِي جَنْبِي !! ... ؛ خَرَابُ الْهَدْبِ !!

سَلَّتْ دُمَيْعَاتٍ كَذُوبِ السُّمِّ مِنْ جَفْنِي الْأَيْ !! .

وَهِيَ تَجْرِبَةٌ جِدُّ رَائِعَةٍ بِالنَّظَرِ إِلَى كَوْنِهَا جَاءَتْ فِي أَوَّلِ عَهْدِ هَذَا النَّمَطِ

الشُّعْرَى الْجَدِيدِ ؛ إِذْ دَائِمًا مَا يَأْتِي النُّضْجُ بَعْدَ مَرَاجِلِ وَأَذْوَارِ وَتَجَارِبِ

عَدِيدَةٍ ؛ أَمَّا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ؛ فَقَدْ تَجَاوَزَتْ عَثْرَاتِ الْبِدَايَاتِ ؛ حَتَّى إِنَّهَا لَتُنْسَبُ

إِلَى الشُّعْرِ الْمَهْمُوسِ الَّذِي نَادَى بِهِ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ مَنَّادُورُ ؛ وَالشُّعْرُ الْمَهْمُوسُ

هُوَ أَجْمَلُ وَأَرْقَى صُورِ قَصِيدَةِ التَّفْعِيلَةِ .

.....

❦ - مَقْصِدٌ :

- نُورَةُ الشُّعْرِ الْحُرِّ

الثَّلَاثُ الْأَعْظَمُ فِي تَارِيخِ قَصِيدَةِ التَّفْعِيلَةِ

﴿ نَارِكُ الْمَلَائِكَةِ ... ؛ بَدْرُ شَاكِرِ السِّيَابِ ... ؛ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْبِيَّاتِي ﴾

ثُمَّ نَجَحَ هَؤُلَاءِ الرُّوَادُ فِي أَنْ يُحْدِثُوا نُورَةً عَظِيمَةً تَمَكَّنُوا مِنْ خِلَالِهَا أَنْ

يَصْنَعُوا نَهْضَةً شُعْرِيَّةً مَازَلَتْ قَائِمَةً إِلَى الْيَوْمِ رَغْمَ كَوْنِهَا قَدْ بُعِثَتْ وَنَشِئَتْ

مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ .

وَكَانَتْ نَارِكُ الْمَلَائِكَةِ ((بَغْدَادُ ٢٣ آبُ = أَيْسُطُسُ ١٩٢٣ - الْقَاهِرَةُ ٢٠ حُزَيْرَانُ

= يُونِيُو ٢٠٠٧ م)) : هِيَ أَكْثَرُ الثَّلَاثَةِ تَأْثِيرًا مِنْ جِهَةِ التَّنْظِيرِ ؛ كَمَا أَنَّهَا كَانَتْ

تَمَتَّلِكُ قُدْرَةَ شِعْرِيَّةٍ قَوِيَّةٍ تَمَكَّنْتَ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ تُشَارِكَ السِّيَابَ وَالْبَيَّاتِي فِي التَّأْصِيلِ التَّطْبِيقِيّ.

كَتَبَ بِيْتَرُ كِلَارِكُ مَقَالاً جَيِّداً عَنِ نَازِكِ المِلائِكَةِ ؛ بِجَرِيدَةِ الجارديان البريطانيَّةِ : أغسطس ٢٠٠٧ م ؛ ترجمة : إبراهيم جعفر - ؛ فَقال - ياخْتِصاراً :-

» -

إن نازك الملائكة ؛ التي تُوفِّيت عن عُمرٍ بلغ الثمانين ؛ كانت واحدةً من أعظم الشعراء العرب تأثيراً وُنفوذاً خلال القرن العشرين ؛ قد عكست حياة وأعمال نازك الملائكة تاريخ موطنها ودارها - العراق - ؛ وما قد حَفَّ ذاك التاريخ ؛ وذاتها كشاعرة ؛ من مثالياتٍ : رجاءٍ ؛ خيبةٍ ؛ منفيٍّ ؛ وكآبةٍ .

وكآخرين من جيلها تأثرت نازك الملائكة بالشعر الإنجليزي ؛ فارتادت حَلَلَ ذلك التأثر حركة الانفكاك من الأشكال التقليدية الرسمية ((المدرسية)) لكتابة الشعر والتي سادت على الشعر العربيُّ لما قد ربا على ألفِ عام .

صدرت مجموعة نازك الملائكة الشعرية الأولى ((عُشاق الليل)) في عام ١٩٤٧ م ؛ عبَّرت نازك في تلك المجموعة عن مثاليةٍ في الروح مشوبةً بتشاؤمٍ وخوفٍ من الخيبة وزوال الوهم ؛ كانت ثيمتا الطبيعة و ((الليل)) نافذتين في شعر المجموعة إياها ؛ ثم أصدرت نازك مجموعة شعرية ثانية في عام ١٩٤٩ م كان اسمها ((شرراً ورماد)) ؛ وكانت أكثر ثوريةً من مجموعتها الأولى ؛ في مُقدِّمتها لتلك المجموعة حاجت نازك الملائكة بأنَّ الأشكال التقليدية للشعر العربيُّ قد أعاققت الشعر العربيُّ عن إنجاز قممٍ في الإبداع بلَغتها آدابُ أُممٍ

أخرى فى العالم.

تعاملت نازك فى قصائدها مع تلك المضامين التى هزّت مُعاصريها :
القوميّة ؛ المسائل الاجتماعية والنسويّة ؛ اغتيال النساء اتّقاءً للعار أو صوتاً
للشرف ؛ ثمّ قيمة الاغتراب.

وحيثما صدر ديوانها الشعريّ الثالث المُسمّى « أعماق الموجة » فى عام
١٩٥٧ م ؛ كان مُمازجاً للأشكال التقليديّة للكتابة بالأشكال الأجدد - آنذاك -
لكتابة الشعر الحر.

نشرت نازك الملائكة آخر ثلاث مجموعات شعريّة لها خلال سبعينات القرن
الماضى ؛ وأتسم شعرها الأحداث بمزيدٍ من التجريب ؛ حيثُ بُدّلت - حينذاك -
رومانسيّتها « أو رومانطيقيّتها » - المتأثّرة أساساً بأعمال الشاعر الإنجليزيّ
كيتس - إلى همّ مُتجهّمٍ عابسٍ بشؤونِ القوميّة والدين.

[وُلِدَتْ فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٣ م ؛ وتُوفّيَتْ فى ٢٠ يونيو ٢٠٠٧ م .] -

- من الإبداعات الشعريّة لِنَازِكِ الْمَلَائِكَةِ :

❦ - قصيدة «أنا»

الليلُ يسألُ من أنا ؟

أنا سرُّه القَلْبُ العميقُ الأسودُ !!

أنا صمتهُ المُتمرّدُ !!

فَنَعَتْ كُنْهِي بالسُّكُونِ

شُعْرَاءُ فِي الْمِيزَانِ

ولفقتُ قلبي بالظُّنُونُ
وبقيتُ ساهمةً هُنَا
أرِنُو وتَسألُنِي القُرُونُ
أنا من أَكُونُ ؟!!
والرِّيحُ تَسألُ من أنا ؟!!
أنا رُوْحُها الحيرانُ أنكرنِي الزَّمانُ !!
أنا مثلها في لا مكانُ !!
نبقى نسيرُ ولا انتهاءً
نبقى نمرُّ ولا بقاءً
فإذا بلغنا المُنْحَى
خلناهُ خاتمةَ الشَّقَاءِ
فإذا فضاء !!
والدهرُ يسألُ من أنا ؟!!
أنا مثله جَبَّارَةٌ أطوى عُصُورُ
وأعودُ أَمْنُحُها النُّشُورُ
أنا أخلقُ المَاضِي البعيدُ
من فتنَةِ الأملِ الرِّغيدُ
وأعودُ أَدْفنُهُ أنا
لأصوغَ لِي أَمْساً جَديدُ

شُعْرَاءُ فِي الْمِيزَانِ

غَدُهُ جَلِيدٌ

وَالذَّاتُ تُسْأَلُ مِنْ أَنَا؟!!

أَنَا مِثْلَهَا حَيْرَى أُحَدِّقُ فِي ظِلَامٍ

لَا شَيْءَ يَمْنَحُنِي السَّلَامَ

أَبْقَى أَسْأَلُ وَالْجَوَابُ

سَيُظَلُّ يَجْجِبُهُ سَرَابٌ !!

وَأُظَلُّ أَحْسَبُهُ دَنَا

فَإِذَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ ذَابٌ !!

وَحَبَابٌ...؛ وَغَابٌ !!

.....

✿ - مَقْصِدٌ:

✿ - أَدُونِيسُ ... وَالْإِبْدَاعُ الْحَدَائِثُ الْجَدِيدُ

- مَظَاهِرُ الْغَمُوضِ فِي شِعْرِ أَدُونِيسِ (١)

- مَسِيرَةُ أَدُونِيسِ الشَّعْرِيَّةُ

(١) - مُسْتَفَادَةٌ هَذِهِ الْمَقَالَةُ - بِاخْتِصَارٍ - مِنْ: مَتَدِيَّاتِ تَخَاطَبِ.taotub.com

وَسَنَنْبُهُ عَلَى نَهَائِيَّتِهَا عِنْدَ الْفَرَاغِ مِمَّا نُرِيدُ .

تُغَطِّي مسيرة أدونيس ما يُنَوِّف على ثلاثة عُقُود؛ أي مُنْذُ صدور ديوانه الأول « قصائد أولى » عام ١٩٥٧م إلى يومنا هذا؛ وخلال هذه المسيرة طرأت تغيّرات شملت اللغة والصور والتراكيب الشعرية عنده؛ ففي قصائده الأولى غنائيةٌ بسيطةٌ وصورٌ مفردةٌ رُومانيةٌ وغير مُركّبةٍ؛ وفي ديوانه الثاني أظهرت بعض قصائده ميلاً تدريجياً نحو العبارة الشعرية المُعقّدة ذات الأبعاد المُتعدّدة؛ وديوانه الثالث « أغاني مهيار الدمشقي » الصادر عام ١٩٦١م: يظهر أن أدونيس قد وجد صوته الخاص المُتميّز في الشعر العربي الحديث: فالصور - هُنا - مُعقّدة؛ واللغة الشعرية مُتقناةٌ بدقّةٍ؛ وأكثر من هذا: الرؤية الشُمولية؛ إضافة إلى التعقيد والغموض في بعض النواحي؛ ويتطور هذا الأسلوب ويستمر في ديوانه الرابع « كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل » الصادر عام ١٩٦٥م؛ وفي ديوانه الخامس « المسرح والمرايا » الصادر عام ١٩٧٠م على ثلاث قصائد طُوال؛ تُمثّل ما أسماه بـ « القصيدة الكلية »؛ وشعره هُنا: عالمٌ من التعددية والتنوع؛ والرؤية الشُمولية؛ ومزيج بين الخاص والعام؛ وفي القصيدة الكلية يخرج أدونيس كلياً عن المفهوم التقليدي للشعر؛ ويُداخل بين ما يُعتبر نثراً بالمفهوم التقليدي وما يُعتبر شعراً؛ وكذلك يجد الدارس أكثر من وزنٍ شعريٍّ أو أكثر من نوعٍ واحدٍ من التفعيلات الشعرية في القصيدة الواحدة؛ أما ديوانه السابع « مُفردٌ بصيغة الجمع » الصادر عام ١٩٧٥م: يتكون من قصيدةٍ

واحدةً طويلةً جداً؛ تنقسم إلى أربعة أقسام؛ وكلُّ قسمٍ يتجزأ إلى أجزاءٍ أصغر؛ وأعتقد أن أدونيس قد حاول أن يجعل من قصيدته المُعقَّدة هذه: رائعة مشهورة؛ فالنصُّ نسيجٌ مُعقَّدٌ من المعانى المُتناقضة: فنجد الانسجام والتمرد؛ الموت والولادة...؛ إنها نموذجٌ ممثِّلٌ لعالم أدونيس .

إن أدونيس - باختصارٍ - يُحاول أن يستعيض عن المفاهيم التقليدية للشعر والنثر: من أجل أن تُبنى طريقةٌ في « الكتابة »: هذه الكتابة التي تُعالج بطريقةٍ أو بأخرى تصوره عن الحداثة؛ فالحداثة تعنى عنده: التمرد على ما هو سائدٌ واتباعى؛ وتوكيدٌ على الفرادة والخصوصية؛ ولهذا نجد قصائده قد مالت تدريجياً نحو العبارة الغامضة ذات الأبعاد المتعددة .

يقول:

سيدتى أنا اسمى التجدد

أنا اسمى الغد

الغد الذى يقترب

كما أن الإبداع عنده: دُخُولٌ فى المجهول لا فى المعلوم؛ وربما كون هذه « العتمة » التي يجب أن يبقى فى سِرِّها هي هذا المجهول الذى يُعدُّ الدخول فيه إبداعاً أو ملحماً حدائياً:

فى عدمة الأشياء فى سِرِّها

أحب أن أبقى

شُعْرَاءُ فِي الْمِيزَانِ

أحب أن أستبطن الخلقا

أحب أن أشود كالظنِّ

كغربة الفنِّ

كالبهيم الغفل وغير الأكيد

أولد في كل غدٍ من جديد

ورفض الحداثة العنيف للماضى هو - في وجه الآخر - : تمردٌ عليه وهدمٌ له ؛
وهذا ما يتبنَّاه أدونيس حين يود الحياة فى الغموض ؛ ويرى الموت فى
الوضوح .

وفى هذا السياق يقول :

أتغيَّر

أغير ما يغيرنى غامضاً ؛ حيث الغموض أن تحيا

وضوحاً ؛ حيث الوضوح أن تموت

- اللغة الشعرية عند أدونيس

إذا كانت اللغة الشعرية الحديثة لا تتحقق إلا بتجاوز المؤلف والعادى فى
اللغة ؛ فإن كثرة الإنزياحات عن الثوابت اللغوية يُجِيل الخطاب الشعرى
إلى خطابٍ غامضٍ غير مفهوم :

عَرَّافٌ ... ؛ قُلْ

لا شىء

هذا مخبز اللغة العجينة

لا شيء

تاريخ النساء مخدة

وحنان طينه

فأدونيس يرى للغة مخبز فيه يخلق لغته الخاصة ((هذا مخبز اللغة العجينة)) إشارة إلى إعادة تشكيل اللغة وفق مُعطيات العصر لا مُعطيات التاريخ؛ ومن ثمَّ تُصبح كتابة القصيدة هدماً للغة وإحياءً لها في وقتٍ واحدٍ؛ وهذا ما لم يتعود عليه القارئ؛ فتبدو له اللغة ((الأدونيسية)) لغة غامضة معقدة؛ ومن المرتكزات الأساسية المحدثة في الخطاب الشعريّ المعاصر كسره لنمطيّة اللغة؛ واستحدثاته لغة شعريّة جديدة تتمرّد على القوالب التي لاكتها الألسنة حتى أصبحت فارغة من مضامينها الحقيقيّة؛ فاللغة الشعريّة إحساسٌ ووعيٌ مقصودٌ لذاته؛ إنها تفرض نفسها باعتبارها أداة فوق الرسالة التي تتضمنها وأعلى منها؛ ومن ثمَّ فلا تُصبح الألفاظ مجرد وسائل لنقل الأفكار؛ بل أشياء مطلوبة لذواتها؛ وعلى هذا تتحول الكلمات من دوالٍ إلى مدلولات .

إن لغة الشعر الحدائيّ ليست لوحاً زجاجياً نقيّاً يظهر ما تحته؛ ليست لغة شفافة تشف المعنى؛ وإنما هي إيمائيّة إشاريّة تُومئ إلى المعنى وتُشير إليه؛ وهي هكذا عند شعراء الحدائة العربيّة المعاصرة .

يقول أدونيس في قصيدته ((الإشارة)):

شُعْرَاءُ فِي الْمِيزَانِ

مزجت بين النار والثلوج
لن تفهم النيران غاياتي ولا الثلوج
وسوف أبقى غامضاً أليفاً
أسكن في الأزهار والحجارة
أغيب
أستقصي
أرى...؛ أموج
كالضوء بين السحر والإشارة
وفي هذا «السحر؛ والإشارة» - إذ لا بوح ولا تصريح - تكمن وظيفتها
وهذا مصدر غموضها؛ فأدونيس يرى اللغة الشعرية التقليدية سجنًا ضيقًا:
يتلمس التحرر منه ويتحرّاه من خلال قوله:
كيف أحرر أجنحتي التي تنتحب في
أقفاص اللغة
ثم هو يراها لغة الأنقاض والميتين!!...؛ ثم يودعها بقوله:
قلنا لك الوداع من سنين
يا هالة الملائك الميتين
يا لغة الجراد الهاربة
يا لغة الأنقاض

هذا هو موقف أدونيس - شاعراً حديثاً - من اللغة الشعرية التقليدية التي ودّعها من سنين لأجل خلق لغة خاصة به إيمائية موحية؛ فهو يستعمل المفردات بطريقة جديدة كلياً؛ همه الأول أن يعطى هذه المفردات معاني جديدة مختلفة كلياً عن معانيها الموروثة؛ وبالإضافة إلى ذلك فهو متأثر بالمعجم الصوفي؛ ويظهر جلياً في ديوانه « كتاب التحولات »؛ فتأثير النَّفْرَى واضحٌ في شعر أدونيس؛ فأدونيس مثل النفري: يستخدم الأدوات والحروف بطريقة خاصة وربما غريبة؛ والتشابهات عند الاثنين في بعض المواقع تثير الدهشة !! .

يقول النفريُّ في « موقف النور »:

وقال أيها النور انقبض وانبسط ...؛ انطو وانفتح ...؛ اختف واطهر ...؛
فانقبض وانبسط ...؛ وانطوى وانفتح ...؛ واختفى وظهر .
ونجد أدونيس يقول في « كتاب التحولات »:
وقلتُ: أيها الجسد انقبض وانبسط ...؛ واطهر واختف ...؛
فانقبض وانبسط ...؛ وظهر واختفى .

فالغموض هنا راجع للغة الشعرية الذي يود أدونيس أن يجعلها تقول ما لم تتعلم أن تقوله .

- الصورة الشعرية الغامضة -

إذا كان ذوق العصر قد أظهر ميلاً إلى الشعر غير المألوف لما فيه من إذكاءٍ

للغرابية ومواجهة لأغوار الذات الغامضة ؛ فقد تأثرت الصورة بهذا فى خصائصها وكنه علائقها ؛ لا يصلح المنطق أو العقل حكماً على دلالات هذه الصور وارتباطاتها ؛ لأنهما سينبذانها منذ الولهه الأولى ؛ وهذا ما يتبدى لنا من خلال هذه الأبيات :

أوما لى برق بكى ونام

فى غابة الظنون

يجهل من أكون

يجهل أنى سيد الظلام

نام على يدى

فالمرجع أنه بقدر ما يعتمد الشاعر فى رسم صورته على العقل الباطن : تأتى هذه الصور غريبة محتشدة متنافرة الأجزاء .

لنقرأ مثلاً هذه الأبيات لأدونيس :

تجلس الكأبة على كرسى يسع الهواء والتُّراب

ويجرى دم الولادة فى حوض تحرسه الشجرة العانس

هكذا

أتحول إلى بحيرة ... ؛ تنبجس من البحيرة نارٌ تُضىء لها

فعلاقات الصورة هنا دقيقة متباعدة إلى حد التنافر والتناقض ؛ صحيح أنه من الممكن تجنيس أطرافها لينزاح شىء من إبهامها ؛ ولنستقتر بعضاً من

أوجه دلالاتها: لكن ذلك لا يتم إلا من خلال جهدٍ تأويليٍّ مُضنيٍّ ليس على القارئ العاديٍّ فحسب؛ وإنما على قارئ الشعر أيضاً!!
وإذا قرأنا هذه الأبيات لأدونيس:

كأنما تستنطق الصاعقة الحجار

تحاكم الصاعقة السماء

تحكم الأشياء

كأنما يغتسل التاريخ في عيني

وتسقط الأيام في يدي

تسقط كالثمار

ألفينا الصورة فيها: متباعدة الأطراف؛ مبهمة العلاقات!! فكيف يمكن للصاعقة أن تستنطق الحجار وتحاكم السماء!!؟ وكيف يغتسل التاريخ!!؟ لا ندرى تماماً؛ لكن ما نرجحه: هو أن أدونيس كغيره من شعراء الحداثة أراد أن يفجر دلالات جديدة من خلال هذا الانفجار المجازي؛ الذي أراد به أيضاً تجاوز الروابط القديمة بين الأشياء إلى روابط يستعين على إيجادها بجسده ورؤياه وانفعاله الذاتي وليس بالواقع الخارجي فقط.

- الأسطورة عند أدونيس

لقد ساهم المنهج الأسطوريُّ عند شعراء الحداثة في إصابة شعرهم بالغموض؛ وما لم يكن القارئ عالماً بهذه الأساطير أو ملماً بها على الأقل: سيكون شعر الحداثة عنده غامضاً؛ وسيقف أمامه حائراً مُرتبكاً؛ ورافضاً في

شُعْرَاءُ فِي الْمِيزَانِ

بعض الأحيان .

لنقرأ هذه الأبيات :

فينيق !! ... ؛ يا فينيق !!

يا طائر الحنين والحريق !!

يا ريشة

سحابة وراءها الظلام والبريق

هذه أبياتٌ من قصيدة « البعث والرماد » : استدعى فيها الشاعر أسطورة طائر « الفينيق » الذي يحترق لينبعث هو أو طائرٌ آخرٌ من رماده ؛ والواضح أن توظيف الأسطورة هنا أضفى على الأبيات غموضاً دلاليّاً لا يُمكن أن ينكشف إلا لمن يعرفون هذه الأسطورة .

وهي قصيدةٌ تعالج فكرة البعث بعد الموت - كما يُوحى بذلك عنوانها - ؛ ومن الحق أن عالم الأسطورة بطبيعته عالمٌ غامضٌ مُبهمٌ يعتمد في أحد أبعاده على الرمز والإيحاء ؛ ولهذا فالاتكاء شعريّاً على هذا العالم لأبداً أن يصيب الشعر بشيءٍ من طبيعته فيكون غامضاً رامزاً مثله .

يقول أدونيس في قصيدته « ملك مهيار » :

ملك مهيار

ملك والحلم لع قصر وحدائق نار

واليوم شكاه للكلمات

صوت مات

ملك مهيار

يحيا في ملكوت الريح

فأدونيس يتخذ من شخصية « مهيار الديلمي » قناعاً له ؛ لكنه في استخدامه لهذه الأسطورة : يطرح كثيراً من تفاصيلها ؛ ويتعد عن دالاتها القديمة ؛ ويطور هذه الأسطورة لتنتقل التجربة من مستواها الشخصي إلى مستواها الإنساني .

وبهذا يبعد الأسطورة ذاتها عن أن تكون صورة عقلية جامدة .

ويتابع أدونيس توظيفه لهذه الأساطير التي يجعلها وعاءً يحمل همومه وأفكاره الخاصة ... ؛ يقول :

أقسمت أن أكتب فوق الماء

أقسمت أن أحمل مع سيزيف

صخرته الصماء

أقسمت أن أظل مع سيزيف

أخضع للحمي وللشرار

ففي هذه الأبيات يعطى الشاعر صورة لصراع ومعاناة الإنسان ؛ ويقسم على تحمل هذه المعاناة (الصخرة) مع سيزيف : تلك الشخصية الأسطورية التي عاقبتها الآلهة بحمل الصخرة إلى أعلى الجبل ؛ فتسقط منها ثم تعيد حملها ؛

فالقارئ ما لم يكن مُلمّاً بهذه الأساطير فلن يدرك مغزى القصيدة؛ وهكذا .

- الرمز عند أدونيس

ليست الفكرة الواضحة؛ ولا الشعور الواضح المُحدّد؛ ولا نقل الأخبار: هي غاية الشعر المعاصر؛ بل غايته - أو إحدى غاياته - هي غموض الأحاسيس وتصوير الحالات النفسية الغامضة بما يشاكلها من تعبير غامض .
لنقرأ مثلاً هذه الأبيات:

هذا أنا: لا لست من عصر الأقول

أنا ساعة الهتك العظيم أنت واخلخلة العقول

هذا أنا - عبرت سحابة

حبلى بزوبعة الجنون

ففكرة الجنون تمثل عند أدونيس: أعلى مستويات الثورة الحقيقية؛ وهي فكرة تتكرر كثيراً في شعر أدونيس؛ فالجنون عنده رمز للثورة؛ فالقارئ بطبيعة الحال لن يفهم دلالة هذه المقاطع حتى يكون مُلمّاً برموز أدونيس .

ويجد أدونيس في الرمز أداة مثالية للتعبير عن مكوناته وهمومه؛ فهو يكثر من توظيفه إرباك القارئ وإثارته وجعله يساهم في إعادة كتابة النص الشعري .

لتأمل هذه الأبيات:

هل قلت إنك شاعر؟

من أين جئت ؟ أحس جلدك ناعماً

سيّاف تسمعني ؟

وهبتك رأسه

خذه ... ؛ وهات الجلد واحذر أن يمس

الجلد أشهى لى وأغلى

فهذه الأبيات عبارة عن أسئلة متتابعة تبدو أمام القارئ لأول برهة غامضة ؛
تثير الدهشة ؛ لكنه بمجرد تفكيك رموزها يجدها تحيل إلى حقيقة مريرة :
تتجلى فى القمع والاستبداد السياسى الذى رمز له الشاعر بهذه الكلمات
« سيّاف - وهبتك رأسه - هات الجلد - الجلد أشهى لى وأغلى » .

- الإيقاع ... ؛ عند أدونيس

لم يقتصر غموض الشعر على مضمونه فقط ؛ بل تجاوز ذلك إلى شكل
وإيقاع القصيدة التى أجبّت من هذا الغموض وأربكت قارئ الشعر
الحداثى .

لنتوقف مثلاً عند المقطع الشعرى :

كان هناك سريرٌ ينتظرني ؛ يجلس عند رأسه طيفٌ ينهض كالثدى ؛ ويلبسُ
عجيزةً وصدراً وما تبقى ؛ واستيقظ جسدى ؛ وهوى أسير المسام وخواتم
العين والسرة والطبيعة الثانية التى تتناسل فيها أنواع ثانية من الخشخاش
واللفاح وسواهما عن نباتات الذكورة والأنوثة ؛ وأخذ جلدى يتهباً لسقوط

كوكب آخر فى تجاعيده .

إننا أمام بنية صوتية إيقاعية واضحة ؛ مثلما نحن مع بنية الشعر العمودى ؛
ولسنا إزاء قافية مستمرة تنهى السطر الشعرى إيقاعاً ودلالياً .

نحن أمام بنية تعتمد وحدة التفعيلة لا وحدة البيت ؛ كما أن هذه التفعيلة
تنشطر بين أسطر القصيدة بسبب التدوير ؛ نحن أمام تدفق إيقاعى يعنى فى
الوقت نفسه تدفقاً دلالياً ؛ ومع التدفق التراكم والاختلاط والالتباس .

ولنقرأ مثلاً هذه الأبيات لأدونيس :

أعرف أننى فى شرح الموت ... ؛ أتبطن القبر وأخزن كلماتى ... ؛ لكننى حى
- يعرف هذا غيرى - : أهجم وأستأصل ... ؛ أعبر وأزدرى ... ؛ حيث
أعبر يسقط شلال عالم آخر ؛ وحيث أعبر الموت واللاممر ؛
وسأبقى ... ؛ فأنا مسيحٌ بنفسى !! .

فنحن أمام مقطع شعرى أو جملة شعرية تتدفق دلالياً بتدفقها إيقاعياً ؛ لكن
فى هذا التدفق متاهة دلالية ؛ كأن الملقى انتقل من شىء ألفه وأنس إليه إلى
آخر لم يعهده ؛ فغمضت دلالته بسبب غموض شكله ؛ من هنا يصبح هذا
التحول الجزئى فى شكل الشعر - وتحديداً فى بنيته الإيقاعية - ؛ وإلى جانب
هذا التدفق الإيقاعى هناك ما يسمى بظاهرة الغياب « الترقيمى » هذه ؛
وهى ظاهرة تُظهر القصيدة متسارعة لاهثة بسبب تسارع دوالها وتلاحقها
غير الملجوم بعلامات الترقيم ؛ وربما يكون فى ربط هذا بتسارع العصر
إبهام البنية اللغوية للقصيدة وإبهام بنيتها الدلالية فى ولهاثة ؛ لكنه يُسهّم فى

الوقت نفسه .

لنقرأ مثلاً قول أدونيس من قصيدته:

((هذا هو اسمي

تحيل النار أيامي نار أنثى دم تحت نهديها صليل

والإبط آبار جمع مع نهر تائه وتلتصق الشمس عليها كالثوب

تزلق جرح قرعته وشعشعته بياه وبهار؛ هذا جنينك؟

أحزاني ورد .)) .

فهو مقطع خلا معظمه من علامات الترقيم: مما أوقع التباساً في تعالقه

اللغوي؛ وهياً لعدّة احتمالات أو صياغات قرائية تختلف فيها إحالات

الضمائر والتعالقات النحوية (١).

.....

✽- مقصد:

وَمُنْدُ أَشْهَرٍ: خَرَجَ الشَّاعِرُ وَالنَّاقِدُ الشَّابُّ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ دَخْرُوجَ الشَّهِيرِ

بـ ((نزار شاهين المصري)): نَظْرِيَّةٌ شِعْرِيَّةٌ جَدِيدَةٌ؛ وَأَيْدَاهَا يَنْمَازِجُهُ

التَّطْبِيقِيَّةُ الْخَاصَّةُ - أَيْ أَشْعَارُهُ وَقَصَائِدُهُ -؛ وَهَاهِي ذِي مَقَالَتُهُ الَّتِي نَشَرَهَا

بِكِتَابِهِ:

النَّقْدُ الْأَدَبِيُّ

(١) - هَاهُنَا انْتَهَى مَا أَرَدْنَا مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ .

نَشَأَتُهُ وَمَنَائِعُهُ ... مَدَارِسُهُ وَمَذَاهِبُهُ
أُصُولُهُ وَمَصَادِرُهُ ... نَظَرِيَّاتُهُ وَمَنَاهِجُهُ.

وَيَلِيهِ :

نَظَرِيَّةُ الشُّعْرِ الصَّوْتِيَّةِ
إِطْلَالَةُ تَارِيخِيَّةِ تَأْصِيلِيَّةِ نَقْدِيَّةِ
وَرُؤْيَا تَنْظِيرِيَّةِ تَطْبِيقِيَّةِ إِبْدَاعِيَّةِ
(« نَحْوَ خَلْقِ نَظَرِيَّةِ شِعْرِيَّةِ حَدَائِثِيَّةِ ») .

قال :

« نَظَرِيَّةُ الشُّعْرِ الصَّوْتِيَّةِ »
الْأَدَاءُ اللُّغَوِيُّ ... الْمَوْسِيقِيُّ الشُّعْرِيَّةِ

١- الأَدَاءُ اللُّغَوِيُّ :

نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِلَ إِلَى الْمُرَادِ مِنْ وَرَاءِ شَرِيحَةِ الْبِنْيَةِ اللُّغَوِيَّةِ الشُّعْرِيَّةِ ؛ مِنْ خِلَالِ
تَأْمُلِ مَا سَلَفَ مِنْ عَرْضِ لِمَنَاهِجِ الْأَيْمَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ ... ؛ وَالَّتِي تَتَمَثَّلُ فِي :

أ- جَزَالَةُ الْأَلْفَاظِ : أَى الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَوِيَّةِ الْمُعْبَّرَةِ مِنْ جِهَةٍ .
ب- سَلَاةُ الْأَلْفَاظِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ؛ وَمُوَافَقَتُهَا لِطَبِيعَةِ الْفُحُولَةِ اللُّغَوِيَّةِ
الْمُعَاصِرَةِ .

أَى أَنَّنَا نُرِيدُ الْأَلْفَاظَ الَّتِي يَشْعُرُ الْأَدِيبُ بِأَنَّهَا مَا خَرَجَتْ إِلَّا مِنْ مَعِينِ شَاعِرٍ
أَمْتَلًا بِأَسَالِيبِ وَعِبَارَاتِ أَرْبَابِ الْبَيَانِ وَالْبَلَاغَةِ ... ؛ وَكَذَلِكَ فَهِيَ أَلْفَاظٌ لَا

تَحْتَاجُ - لِكَوْنِهَا مِنْ الْحَوْشِيِّ الْغَرِيبِ ؛ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ النَّادِرَةِ الِاسْتِعْمَالِ
مَعَ التَّسْلِيمِ بِأَصَالَةِ عَرَبِيَّتِهَا - إِلَى الرَّجُوعِ لِلْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْوُقُوفِ عَلَى
حَقِيقَةِ كُنْهَيْهَا... ؛ وَلَا عِلَاقَةَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُرِيدُهَا هُنَا ؛ وَبَيْنَ الْأَلْفَاظِ الْمُبْتَدَلَةِ
السَّاقِطَةِ الَّتِي تَسْفُلُ بِصَاحِبِهَا وَتَحْطُ مِنْ قَدْرِ فُحُولِهِ اللَّغَوِيَّةِ.

٢ - مُوسِيقَى الشُّعْرِ الصَّوْتِيَّ

لِهَذَا النَّمَطِ الشُّعْرِيِّ مُوسِيقَاهُ الَّتِي يَنْمَازُ بِهَا وَيَعْتَمِدُ وَيُعَوَّلُ عَلَيْهَا... ؛
وَهِيَ مَنَاطُ الْخِلَافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَنْصَارِ الْجُمُودِ وَالتَّزَمَّتْ... ؛ وَهَذِهِ هِيَ
رَكَائِزُهَا :

أ- الِاعْتِمَادُ عَلَى التَّفْعِيلَةِ الْوَاحِدَةِ فِي بَعْضِ الْمَقَاطِعِ وَالْفِقْرِ.

ب- دَمَجُ تَفْعِيلَةِ بَحْرِ مَعَ تَفْعِيلَةِ بَحْرِ آخَرَ.

ج- الصِّيَاغَةُ الْحُرَّةُ الَّتِي لَا تَعْتَمِدُ عَلَى التَّفْعِيلَةِ الْعَرُوضِيَّةِ.

د- السَّكَّاتُ اللَّطِيفَةُ وَالْجَلِيَّةُ [...] ؛ [...] ؛ [...] ؛ [...] ؛ وَالَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ
تُشْعَرَ بِالسَّلَاسَةِ وَالْمُرُونَةِ وَعَدَمِ الدَّمَجِ الْعَرُوضِيِّ وَالشُّدُودِ الْمَوْسِيقِيِّ.

وَيَكَادُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّرْطُ هُوَ الْمَحْوَرُ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ هَذِهِ النَّظْرِيَّةُ
وَتَدُورُ حَوْلَهُ... ؛ وَيَدُونِهِ تَنْتَهَى قِيمَةُ كُلِّ هَذِهِ الشُّرُوطِ السَّابِقَةِ .



❖ - النَّمَازِجُ الْمُنتَقَاةُ مِنْ أَشْعَارِ نِزَارِ شَاهِينَ :

١- مَا بَيْنَ بَدْئِي ... وَالْخِتَامِ؟!!

مَا بَيْنَ بَدْئِي وَالْخِتَامِ؟!!...؛ أَقَاصِيصٌ...؛ رِوَايَاتٌ...؛ حِكَايَاتٌ...؛ فَهْنَاكَ مَنْ
 ذَهَبُوا!!...؛ وَمَنْ فُقِدُوا!!...؛ وَمَنْ مَاتُوا!!...؛ وَبَقِيَتْ وَحْدِي فِي الْأَخِيرِ!!
 ...؛ رُوحٌ تَجُوبُ هُنَاكَ فِي التِّيهِ الْكَبِيرِ!!...؛ أَمَلٌ تَحَوَّلَ يَا صَدِيقِي إِلَى
 رَمَادٍ!!...؛ مَا عُدْتُ أَعْرِفُ يَا أَخِي!!...؛ مَعْنَى السَّفَاهَةِ وَالرَّشَادِ؟!!
 ...؛ أَشْلَاءُ أَحْلَامٍ!!...؛ أَشْلَاءُ أَحْلَامٍ أُمِيتَتْ فِي الْحَرِيفِ!!...؛ لَا فَرْقَ بَعْدَ
 الْيَوْمِ!!...؛ مَنْ غَصَبَ الْهُدَى (١)!!...؛ وَمَنْ الْعَفِيفِ!!...؛ لَا فَرْقَ بَيْنَ
 الشَّيْخِ عَرَبْدٍ فِي الْمَقَابِحِ وَالْمَثَالِبِ لَا يَثُوبُ (٢) وَلَا يَفِيقُ!!...؛ أَوْ بَيْنَ طِفْلِ
 بِاسْمٍ فِي وَسْطِ لَيْلٍ!!...؛ قَدْ تَهَشَّمَ رَأْسُهُ فَوْقَ الطَّرِيقِ!!...؛ يَا سَيِّدِي!!
 ...؛ كُلُّ الْحَقَائِقِ قَدْ هَوَتْ!!...؛ كُلُّ الْعُقُولِ هُنَاكَ فِي زَمَنِ الرَّذَائِلِ وَالْمَخَازِي
 قَدْ غَوَتْ!!...؛ وَلِذَاكَ دَعْنِي فَإِنِّي!!...؛ وَلِذَاكَ دَعْنِي فَإِنِّي سَاسِيرٌ وَحْدِي
 فِي الْمَدَائِنِ وَالْدُرُوبِ!!...؛ أَقْتَاتُ مَعْنَى الْحُزْنِ فِي لَيْلِ الْمَاسِي!!...؛
 وَالْخُطُوبِ!!...؛ أَمْضَى كَمَلَّاحٍ!!...؛ أَمْضَى كَمَلَّاحٍ تُطَارِدُهُ رِيَاحُ الْقَهْرِ فِي
 بَحْرِ الضِّيَاعِ!!...؛ أَمْضَى كَعَبْدٍ مَلِكٍ نَخَّاسٍ يَعِيشُ مَصِيرُهُ أَنْ يُشْتَرَى أَوْ أَنْ
 يُبَاعَ!!...؛ أَنَا قَدْ كَفَرْتُ بِكُلِّ أَعْرَافِ الْحَيَاةِ!!...؛ لَا فَرْقَ بَعْدَ الْيَوْمِ عِنْدِي

(١) - فَلَانٌ يَمْضِي عَلَى هُدَى: أَي عَلَى بَصِيرَةٍ.

(٢) - كَاتِبٌ فَلَانٌ إِلَى رَشْدِهِ: أَي عَادَ وَرَجِعَ.

بَيْنَ أَفْتِدَةِ الْمَلَائِكِ وَالطَّغَاهِ !!...؛ عَلِمْتُ فِي يَوْمِي اللَّعِينِ حَقِيقَةً؟!...؛ الْحَقُّ
عِنْدَ النَّاسِ شَيْءٌ لَا يُرَى إِلَّا سِوَاهُ؟!...؛ دَعِ أَمْرَ قَلْبٍ أَوْ عُقُولٍ إِنَّهَا وَهْمٌ
هُنَا !!...؛ إِنَّ الشَّرِيعَةَ فِي زَمَانِي تَقِيسُ كُلُّ حَسَبٍ مَا مَلَكَتْ يَدَاهُ !!...؛ وَكَذَا
فَدَعْنِي لَا تُمَهِّلْ إِيَّيَ وَلَا تُقَلِّ انْتِظِرْ !!...؛ سَاعُودٌ ثَانِيَةٌ لِأَنْسَى الْحُزْنَ فِي تَيْهِ
السَّفَرِ !!...؛ سَيَقُولُ قَوْمِي ظَلَّ يَجْتَازُ الدُّرُوبَ لِكُلِّ أَرْمَنَةِ الْحَيَاةِ وَلِلْمُحَالِ قَدْ
اخْتَرَقَ !!...؛ ضَاعَتْ رُؤَاهُ فَعَاشَ فِي وَهْمِ السَّرَابِ !!...؛ هُنَاكَ فِي قَلْبِ
الْجَحِيمِ !!...؛ قَدْ احْتَرَقَ...؛ هَذَا أَنَا !!...؛ هَذَا أَنَا !!...؛ وَسَطَ الرِّيَّاحِ !!
...؛ رُوحٌ مَلِيئَةٌ !!...؛ يَا مَوَاجِعَ !!...؛ وَالْجِرَاحِ !!...؛ وَغَدَاً هُنَاكَ الْقَبْرُ فِي
طَرْفِ الْمَدِينَةِ سَاكِنٌ وَسَطَ الظَّلَامِ !!...؛ سَكَنَ الْفُؤَادُ فَلَا رَجَاءَ هُنَاكَ لِلدُّنْيَا
اللَّعِينَةِ لَا مَلَامَ !!...؛ قَبْرٌ حَزِينٌ خَاشِعٌ !!...؛ صُنِعَتْ حِجَارَتُهُ هُنَاكَ مِنَ الْكَابَةِ
وَالدُّمُوعِ !!...؛ فَإِذَا أَرَدْتُمَا الْحُزْنَ يَوْمًا عِنْدَهُ !!...؛ فَابْكُوا وَلَكِنْ !!...؛ فِي
خُشُوعٍ !!.



٢- سَأَلْتَنِي مَنْ ؟!!

سَأَلْتَنِي مَنْ ؟!! ... ؛ إِي أَنْتَ يَا ابْنَ الصَّمْتِ قُلْ ؟!! ... ؛ قُلْ أَنْتَ مَنْ ؟!!
 ... ؛ فَخَجَلْتُ مِنْ عَجْزِي ... ؛ وَلَمْ أَنْطِقْ ... ؛ وَاهْتَزَّتْ الْأَرْضُ الَّتِي حَمَلْتَنِي
 أَقْدَامِي عَلَيْهَا مِنْ سِنِينَ !! ... ؛ أَنَا مَنْ أَكُونُ ؟!! ... ؛ فَلْتَسْأَلُوا عَنِّي ذُرُوبًا فِي
 ظِلَامٍ لَمْ تَزَلْ ... ؛ فَلْتَسْأَلُوا عَنِّي يَا وِدِيَّةَ الْحَيَارَى التَّائِهِينَ !!
 قَالَتْ أَجِبْ ؟!! ... ؛ فَالِي مَتَى تَبْقَى بِحِصْنِكَ قَائِعًا وَسَطَ السُّكُونِ ؟!!
 ... ؛ قَالَتْ أَجِبْ ؟!! ... ؛ مَا مِنْ فَتَى ؟!! ... ؛ إِلَّا وَيَعْرِفُ مَنْ يَكُونُ ؟!!
 فَأَجَبْتُهَا : أَنَا شَاعِرٌ ... ؛ أَنَا شَاعِرٌ أَوْطَانُهُ الْوَهْمُ اللَّعِينُ ... ؛ إِرْتِي مِنَ الْحَرْمَانِ
 وَالْخَوْفِ الْمَفْزَعِ وَالشَّجَنِ ... ؛ لِي ذِكْرِيَّاتٌ ؟!! ... ؛ إِنَّمَا أَنَا فِي الْحَقِيقَةِ لَسْتُ
 أَذْكُرُهَا ... ؛ وَقَفْتُ هُنَاكَ بِخَلْفِ أَبْوَابِ الزَّمَنِ ؟!! ... ؛ قَدْ كَانَ لِي بِالْأَمْسِ
 أَرْضٌ كُنْتُ أَبْصِرُهَا ؟!! ... ؛ الْيَوْمَ مَا أَذْكُرُ سِوَى ... ؛ أَحْيَا يَلَا أَرْضِ
 يَلَا أَهْلٍ يَلَا حُبٍّ ... ؛ وَمَا عِنْدِي وَطَنٍ ؟!! ... ؛ هَاذِي حَقِيقَةً قِصَّتِي .
 قَالَتْ فَمَا تَرْجُو ؟!! ... ؛ وَمَا تَبْغِي بِسَعْيِكَ فِي يَلَادٍ لَسْتَ تَعْرِفُهَا ؟!! ... ؛
 وَلِمَا مَجِيئِكَ مِنْ دِيَارِكَ يَا ثَرَى ؟!! ... ؛ أَلَدَيْكَ أَحْلَامٌ وَأَمَالٌ وَأَفْكَارٌ ... ؛
 وَشَيْءٌ مِنْ رُؤْيٍ ؟!! .

فَأَجَبْتُهَا : أَنَا مَا أُوْمَلُ أَيَّ شَيْءٍ ؟!! ... ؛ حُلْمِي الْبَقَاءُ بِدَيْرِ صَمْتِي لَا أَعِيشُ
 بَعَالِمِ الْأَحْقَادِ فِي دُنْيَا الْبَشَرِ ... ؛ أَمَلِي مِنَ الدُّنْيَا اللَّعِينَةِ هُوَ سُكُونِي وَعِزَّتِي
 ... ؛ مَحْضُ التَّنَائِي عَنْ مَدَائِنِ أَهْلِهَا صُنِعَتْ قُلُوبُهُمْ هُنَالِكَ مِنْ جَلَامِيدِ

الصَّخْرَ !!...؛ أَنَا لَيْسَ عِنْدِي مِنْ رُؤْيٍ ...؛ أَنَا لَسْتُ أَعْبَأُ بِالْأُمُورِ يَكُونُ مِنْهَا
وَمَا جَرَى...؛ مُتَشَابِهٌ ذَا الْمَوْتِ عِنْدِي وَالْكَرَى...؛ مُتَسَاوِيَانِ...؛ مُتَسَاوِيَانِ
السَّيْرِ فِي ظِلِّ النَّعِيمِ بِطُولِ سَاحَاتِ الْمَدَى...؛ وَوُقُوفُ حَيْرَانٍ هُنَاكَ عَلَى
شَوَاطِئِ لَا تَرَى غَيْرَ الرَّدَى !!.

فَأَجَبْتُهَا: لَا تَسْأَلِي كَيْفَ الْمَجِيءِ وَأَنْتَ مَنْ ؟!!...؛ أَنَا مَنْ أَكُونُ ؟!!...؛ أَنَا
مَحْضُ قَلْبٍ مَا عَلَى الْأَرْضِ اطمأن !! ...؛ لَا تَسْأَلِينِي مَا أُرِيدُ ...؛ أَنَا
جِئْتُ مِنْ مَاضٍ تَلَاشَى وَهَذَا أُسِيرُ يَنْحَوِ مَرْهُوبٍ بَعِيدٍ...؛ لَا تَسْأَلِينِي مَا الَّذِي
قَدْ كَانَ فِي يَوْمِ الْفِرَارِ ...؛ يَوْمَ الْحَيَاتِ الَّتِي مَاجَتْ بِهَا أَرْضِي هُنَاكَ يَوْسَطِ
أَوْدِيَةِ الْحِصَارِ ...؛ أَنَا كُلُّ مَا أَذْكَرُ...؛ أَنَا كُلُّ مَا أَذْكَرُ خُرُوجِي لَاهِئًا خَوْفَ
الْغُدُوِّ كَجُنَّةٍ مَطْرُوحَةٍ كَانَتْ لِبَعْضِ رِفَاقِنَا...؛ خَلَفْتُهَا!!...؛ خَلَفْتُهَا
نَهْبًا مُقَسَّمَةً لِأَثْيَابِ الشُّسُورِ...؛ وَخَرَجْتُ تَحْتَ ظِلَامِ لَيْلِ رِحَابِهَا...؛
وَتَرَكْتُهَا!!...؛ وَتَرَكْتُهَا كَمَدِينَةٍ مَلْعُونَةٍ!!...؛ ضَاعَتْ هُنَاكَ !!
يَوْسَطِ مَجْهُولِ الْعُصُورِ!!.



٣- النَّارُ فِي عَيْنِي!!... وَالسَّمُّ فِي رِيقِي!!

لا اليأسُ يَعْرِفُنِي ... ؛ وَلَا أَعْرِفُ اليأسَا!!... ؛ أَنَا مَنْ قَهَرْتُ الدُّلَّ وَالتُّعْسَا!!
... ؛ لا الحزنُ يَهْزِمُنِي وَلَا ضِيقِي!!... ؛ النَّارُ فِي عَيْنِي!!... ؛ وَالسَّمُّ فِي
رِيقِي!!... ؛ مَاتَتْ حِكَايَاتِي وَتَشَعَّبَتْ طُرُقِي!!... ؛ سَاعَيْشُ سِرِّي فِي طُهْرِي
وَفِي صِدْقِي!!... ؛ لا الكونُ يَأْسِرُنِي وَلَا الأَرْضُ!!... ؛ فَالحُبُّ يَعْرِفُهُ
الإحْسَاسُ وَالتَّبْصُرُ!!... ؛ أَنَا لا تُحَرِّكُنِي الصُّرُوفُ وَلَا الخُطُوبُ!!... ؛
فَأَيُّ يَوْمٍ حِمَامِهِ قَالَ الرَّجُولَةُ لِلْمَاسِي وَالكَرُوبُ!!... ؛ أُمِّي يَوْمَ وَفَاتِهَا
قَالَتْ نِزَارُ ابْنُ الغَرَابَةِ وَالحَيَالُ!!... ؛ سَيَعِيشُ لا يَعْبا يَغَيِّرُ السَّيْرَ فِي أَرْضِ
المُحَالِ!!... ؛ سَأَظَلُّ أَبْسُمُ رَغْمَ أَحْزَانِي أُغْنِي!!... ؛ سَأَمُوتُ يَوْمًا إِنَّمَا!!... ؛
سَيُخَلِّدُ التَّارِيخُ فَنِّي!!.



❖ - إِمَارَةُ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ

عَبْقَرِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ ...؛ أَمْ مَحْضُ ادِّعَاءَاتٍ كَاذِبَةٌ !!؟

حِينَمَا أَجْمَعَ الشُّعْرَاءُ وَالنُّقَادُ عَلَى وَضْعِ لَوَاءِ إِمَارَةِ الشُّعْرِ فِي يَدِ أَحْمَدَ شَوْقِي؛ مَا كَانَ هَذَا إِجْمَاعًا حَقِيقِيًّا صَحِيحًا !! ...؛ بَلِ الرَّاجِحُ أَنَّهُ كَانَتْ لِشَوْقِي يَدٌ خَفِيَّةٌ فِي صُنْعِ هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ !!...؛ ثُمَّ اخْتِرَاعُ دَعْوَى الْإِجْمَاعِ بَعْدَ ذَلِكَ !!...؛ ثُمَّ جَاءَ الْعَقَادُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيَحْظِيَ بِهِذَا اللَّقْبِ الْعَظِيمِ ...؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ فَوْزًا هُوَ بِالْأَضْحُوكَةِ أَشْبَهُ !!...؛ إِذْ شَرَطُ الْإِجْمَاعِ مَا تَوَافَرَ وَمَا وُجِدَ !! ...؛ وَكَذَلِكَ فَإِنَّ عُنْصُرَ الْمُدَاهَنَةِ وَالتَّزْلِيفِ كَانَ هُوَ الْأَظْهَرُ وَالْأَبْرَزُ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ الشَّهِيرَةِ !!...؛ وَمِمَّا يُجَلِّي حَقِيقَةَ هَذَا الْمَشْهَدِ التَّارِيخِيِّ الْعَبَثِيِّ: أَنَّ السَّاحَةَ كَانَتْ تَمُوجُ فِي هَذَا الْآوِنَةِ بِشُعْرَاءٍ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْفُحُولَةِ؛ ثُمَّ إِنَّ الْعَقَادَ مَا كَانَ إِبْدَاعَهُ الشُّعْرِيَّ يَوْمِيًّا - وَلَا بَعْدَ صُدُورِ آخِرِ دَوَائِينِهِ - يُؤْهِلُهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِهَذَا الْمَنْصِبِ الرَّفِيعِ !!.

ثُمَّ جَاءَتْ صَافِينَازَ كَاطِمَ بَعْدَ ذَلِكَ لِتُصْرِّحَ فِي جَرَأَةٍ بِأَنَّ الشَّاعِرَ أَمَلَ دُنْقَلُ: هُوَ أَمِيرُ شُعْرَاءِ الْعَصْرِ !!...؛ وَالْأَمْرُ هَاهُنَا أَذْهَى وَأَعْجَبُ مِنْ سَابِقِهِ !!...؛ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ مِنْ كَوْنِ جَرِيدَةِ [A.B.C] الْمَدْرِيدِيَّةِ قَدْ أَتَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِتُنَشِّرَ مَقَالًا ضَافِيًّا عَنِ الشَّاعِرِ الْعِرَاقِيِّ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْبِيَّاتِيِّ؛ ذُكِرَ فِي عُنْوَانِهِ أَنَّهُ:

﴿ الشَّاعِرُ الْأَوَّلُ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ ﴾ !!

.....

خُلَاصَةُ الْقَوْلِ: هُنَاكَ مِنَ النُّقَادِ مَنْ لَا يَعْزُبُ بِمَسْأَلَةِ الْإِمَارَةِ وَلَا يَعْتَرِفُ بِهَا...؛ وَلِكَلَامِهِ عِنْدِي نَصِيبٌ مِنَ الصِّدْقِ وَالْحَقِّ...؛ إِلَّا أَنَّنِي لَا أَرَى غَضَاظَةً مِنْ هَذَا الْأَمْرِ؛ شَرِيظَةً أَنْ تَتَوَافَرَ الشُّرُوطُ وَالْقَوَاعِدُ؛ وَالَّتِي يَجِبُ قِيَامُهَا وَوُجُودُهَا إِذَا مَا أُرِيدَ ذَلِكَ...؛ وَالْقَوَانِينُ الَّتِي تُشْتَرَطُ لَا يَجْهَلُهَا مَنْ لَهُ فَهْمٌ وَإِدْرَاكٌ...؛ كَوُقُوفٍ أَشْهَرَ نُقَادِ الْعَصْرِ عَلَى كَافَّةِ التَّنَاجَاتِ الشُّعْرِيَّةِ؛ وَخُرُوجِ الْعَامَّةِ وَالِدَهْمَاءِ مِنَ الْإِدْلَاءِ بِالرَّأْيِ؛ لِإِفْتِقَادِ الْعِلْمِ الْكَامِلِ مِنْ جِهَةٍ؛ وَالتَّحْيِيزِ وَالتَّعَصُّبِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى؛ وَأَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ الْمَقْرُوءُ هُوَ الَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَيُعْتَدُ بِهِ؛ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ لِلشَّاعِرِ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا أَرَدْنَا مَعْرِفَةَ دَرَجَةِ فَصَاحَتِهِ وَمَدَى اسْتِقَامَةِ لِسَانِهِ...؛ وَهَكَذَا...؛ وَأَمَّا مَا نَرَاهُ الْيَوْمَ؛ فَهُوَ مِنْ جِهَةِ الْحَقِّ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ: فَلَا هُوَ فِي الْعَيْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ !!.

